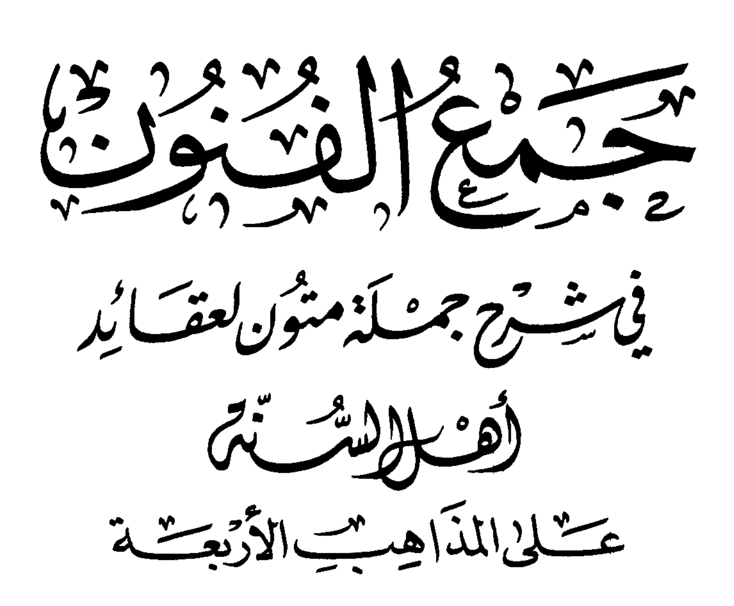


بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الرابع





قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ـ الجهراء ـ مجمع كاظمة التجاري

هاتف : ٤٥٥٧٥٥٩ فاكس : ٤٥٥٧٥٥٨

ص .ب :١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧



الباب الرابع: العقيدة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل

الفصل الأول: عقيدة الإمام أحمد بن حنبل من خلال كتبه وأقواله

الفصل الثاني: القواعد الأربع للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي مع شرحها الميسر

الفصل الثالث: رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي مع شرحها الميسر

الفصل الرابع: تفسير كلمة التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي مع شرحها الميسر

الفصل الخامس: كشف الشبهات للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي مع شرحه الميسر



الفصل الأول:

عقيدة الإمام أحمد بن حنبل
من خلال كتبه وأقواله

تأليف
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس



المبحث الأول:
عقيدته في التوحيد

(١) «إن الإمام أحمد سُئل عن التوكل، فقال: قطع الاستشراق بالإياس من الخلق»[1].

(٢) وجاء في كتاب المحنة[2] لحنبل أن الإمام أحمد قال: «لم يزل الله عز وجل متكلماً والقرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق وعلى كل جهة، ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل».

(٣) وأورد ابن أبي يعلى عن أبي بكر المروزي قال: «سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش فصححها وقال: تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت»[3].

(٤) قال عبدالله بن أحمد في كتاب السُّنَّة: إن أحمد قال: «من زعم أن الله لا يتكلم فهو كافر إلا أننا نروي هذه الأحاديث كما جاءت»[4].

(٥) وأخرج اللالكائي عن حنبل[5] أنه سأل الإمام أحمد عن الرؤية فقال: «أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ﷺ، بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر»[6].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٤١٦).

(٢) كتاب المحنة ص (٦٨).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٥٦).

(٤) السُّنَّة ص (٧١ ط دار الكتب العلمية).

(٥) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني ابن عم أحمد بن حنبل قال عنه الخطيب: «ثقة ثبت» مات سنة «٢٧٣هـ» تاريخ بغداد (٨/ ٢٨٦، ٢٨٧).
وانظر ترجمته في طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣).

(٦) شرح اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٢/ ٥٠٧).

(٦) وأورد ابن الجوزي في المناقب كتاب أحمد بن حنبل لمسدد[١] وفيه: «صفوا الله بما وصف به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه...»[٢].

(٧) جاء في كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد قوله: «وزعم . جهم بن صفوان . أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدّث عن رسوله كان كافراً وكان من المشبهة»[٣].

(٨) وأورد ابن تيمية في قول الإمام أحمد: «نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حدّ ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد، فصفات الله منه وله وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار»[٤].

(٩) وأورد ابن أبي يعلى عن أحمد أنه قال: «من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر مكذب بالقرآن»[٥].

(١٠) وأورد ابن أبي يعلى عن عبدالله بن أحمد قال: «سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلّم الله موسى لم يتكلم بصوت فقال أبي: تكلم الله بصوت وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت»[٦].

(١١) وأخرج اللالكائي عن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: «..والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق فإن كلام الله منه وليس منه شيء مخلوق»[٧].

---

(١) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي البصري قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ الحجة» مات سنة (٢٢٨) هـ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩١).
وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ١٠٧).

(٢) مناقب الإمام أحمد ص ٢٢١.

(٣) الرد على الجهمية ص ١٠٤.

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٠).

(٥) طبقات الحنابلة (١/ ٥٩، ١٤٥).

(٦) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٥).

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٥).

المبحث الثاني: عقيدته في القدر

(١) أورد ابن الجوزي في المناقب كتاب أحمد بن حنبل لمسدد وفيه: «ويؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومُرّه من الله»[١].

(٢) وأخرج الخلال عن أبي بكر المروزي قال: «سُئل أبو عبدالله فقال: الخير والشر مقدر على العباد؟ فقيل له: الله خلق الخير والشر، قال: نعم، الله قدره»[٢].

(٣) وجاء في كتاب السُّنَّة للإمام أحمد قوله: «والقدر خيره وشره وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومُرّه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله قضاء قضاه على عباده وقدر قدره، ولا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوز قضائه»[٣].

(٤) وأخرج الخلال عن محمد بن أبي هارون عن أبي الحارث قال: «سمعت أبا عبدالله يقول: فالله عز وجل قدر الطاعة والمعاصي، وقدر الخير والشر، ومن كتب سعيداً فهو سعيد، ومن كتب شقياً فهو شقي»[٤].

(٥) قال عبدالله بن أحمد سمعت أبي وسأله علي بن جهم عمن قال بالقدر[*] يكون كافراً؟ قال: «إذا جحد العلم إذا قال: إن الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علم الله فهو كافر»[٥].

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص ١٦٩، ١٧٢، ط / دار الآفاق الجديدة.
(٢) السُّنَّة للخلال (ق - ٨٥).
(٣) السُّنَّة ص ٦٨.
(٤) السُّنَّة للخلال (ق - ٨٥).
(٥) السُّنَّة لعبدالله بن أحمد ص ١١٩.
(*) أي يكفر بالقدر ويقول بقول القدرية في منكري القدر.

(٦) فقال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري، فقال: إن كان يخاصم فيه ويدعو إليه فلا تصل خلفه»[١].

(١) السُّنَّة ص (١/ ٣٨٤).

المبحث الثالث
عقيدته في الإيمان

(١) أورد ابن أبي يعلى عن أحمد قال: «من أفضل خصال الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[١].

(٢) وأورد ابن الجوزي عن أحمد قال: «الإيمان يزيد وينقص كما جاء في الخبر: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[٢]....»[٣].

(٣) وأخرج الخلال عن سليمان بن أشعث[٤] قال: «إن أبا عبد الله قال: الصلاة والزكاة والحج والبر من الإيمان والمعاصي تنقص الإيمان»[٥].

(٤) قال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي عن رجل يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص ولكن لا يستثني أمرجئ؟ قال: أرجو ألا يكون

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٠) وأبو داوود في كتاب السُّنَّة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٦٠) ح (٤٦٨٢)، والترمذي في الرضاع باب ماجاء في حق المرأة على زوجها (٣/ ٤٥٧) ح (١١٦٢) جميعهم من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) مناقب الإمام أحمد ص ١٧٣، وانظر أيضاً ص ١٥٣، ١٦٨.

(٤) هو أبو داوود سليمان بن أشعث بن إسحاق السجستاني صاحب السُّنن، قال عنه الذهبي: «الإمام الثبت سيد الحفّاظ» مات سنة «٢٧٥هـ»، تذكرة الحفّاظ (٢/ ٥٩١)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد (٩/ ٥٥).

(٥) السُّنَّة للخلال (ق - ٩٦).

مرجئاً. سمعت أبي يقول: الحجة على ما[*] لا يستثني قول رسول الله ﷺ، لأهل القبور: «وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»[١]....»[٢].

(٥) قال عبدالله بن أحمد: «سمعت أبي . رحمه الله . سُئل عن الإرجاء فقال: نحن نقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه»[٣].

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٢/ ٦٦٩) ح (٩٧٤) من طريق عطاء عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) السُّنَّة لعبدالله (١/ ٣٠٧، ٣٠٨)، ط/ المحققة.

(٣) السُّنَّة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٠٧).

(*) أي على من لا يرى الاستثناء في الإيمان.

المبحث الرابع: عقيدته في الصحابة

(١) جاء في كتاب السُّنَّة للإمام أحمد ما يأتي: «ومن السُّنَّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحداً منهم فهو مبتدع، رافضي خبيث، مجلف، لا يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً، بل حبهم سُنَّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة». ثم قال: «ثم أصحاب رسول الله ﷺ، بعد الأربعة خير الناس، ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه»[١].

(٢) أورد ابن الجوزي رسالة أحمد إلى مسدد وفيها: «وأن تشهد للعشرة أنهم في الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح ومن شهد له النبي ﷺ، شهدنا له بالجنة»[٢].

(٣) قال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي عن الأئمة فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي»[٣].

(٤) وقال عبدالله بن أحمد: «سألت أبي عن قوم يقولون: إن علياً ليس بخليفة، قال هذا قول سوء ردي»[٤].

---

(١) كتاب السُّنَّة للإمام أحمد ص (٧٧ - ٧٨).
(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ١٧٠، ط دار الآفاق الجديدة.
(٣) السُّنَّة ص ٢٣٥.
(٤) السُّنَّة ص ٢٣٥.

(٥) وأورد ابن الجوزي عن أحمد قال: «من لم يثبت الخلافة لعلي فهو أضل من حمار أهله»[١].

(٦) وأورد ابن أبي يعلى عن أحمد قال: «من لم يربع علي بن أبي طالب الخلافة فلا تكلموه، ولا تناكحوه»[٢].

(١) مناقب الإمام أحمد ص ١٦٣، ط/ دار الآفاق.
(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٤٥).

المبحث الخامس:
نهيه عن الابتداع والخصومات في الدين

(١) أخرج ابن بطة عن أبي بكر المروزي قال: «سمعت أبا عبدالله يقول: من تعاطى الكلام لم يفلح، ومن تعاطى الكلام لم يخل أن يتجهم»[(١)].

(٢) وأورد ابن عبدالبر في جامع بيان العلم عن أحمد قال: «إنه لا يفلح صاحب كلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[(٢)].

(٣) وأخرج الهروي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: «كتب أبي إلى عبيدالله بن يحيى بن خاقان[(٣)] لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث رسول الله ﷺ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[(٤)].

(٤) وأخرج ابن الجوزي عن موسى بن عبدالله الطرسوسي قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تجالسوا أهل الكلام وإن (ذابوا) عن السُّنَّة»[(٥)].

---

(١) الإبانة (٢/ ٥٣٨).

(٢) جامع بيان العِلْم وفضله (٢/ ٩٥) ط / دار الكتب العلمية.

(٣) هو أبو الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان التركي ثم البغدادي، قال عنه الذهبي: «الوزير الكبير.. وزير للمتوكل وللمعتمد... وحظي عند المتوكل وكان سمحاً جواداً»، وقال ابن أبي يعلى: «نقل عن إمامنا أشياء منها أنه قال: سمعت أحمد يقول: «أنزه نفسي عن مال السلطان وليس بحرام»، مات سنة (٢٦٣هـ)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٠٤).

(٤) ذم الكلام (ق - ٢١٦ - ب).

(٥) مناقب الإمام أحمد ص ٢٠٥.

(٥) وأخرج ابن بطة عن أبي الحارث الصايغ قال: «من أحب الكلام لم يخرج من قلبه، ولا ترى صاحب كلام يفلح»[١].

(٦) وأخرج ابن بطة عن عبيدالله بن حنبل قال: «حدثني أبي قال: سمعت أبا عبدالله يقول: عليكم بالسُّنَّة والحديث وينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسُّنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة»[٢].

(٧) أورد ابن بطة في الإبانة عن أحمد قال: «إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذره»[٣].

فهذه أقواله - رحمه الله - في مسائل أصول الدين وهذا موقفه من عِلْم الكلام.

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٣٩).
(٢) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٣٩).
(٣) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٤٠).

المبحث السادس:
نهيه عن الشرك ووسائله

أولا: وسائل الشرك

لقد اهتم الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - أشد الاهتمام بمسألة سد الذرائع، وذلك ثابت عنه كما قال القرطبي - رحمه الله -: «والتمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب الإمام مالك وأصحابه، وأحمد بن حنبل»[١].

وجاء عن الإمام أحمد - رحمه الله - وبعض أتباعه، النهي عما هو من وسائل الشرك. كتجصيص القبور والبناء عليها[٢]، وتعليتها[٣]،

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٥٧، ٥٨).

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبني عليه بناءً. قال ابن قدامة في المغني «ولأن ذلك من زينة الدنيا فلا حاجة بالميت إليه» ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذا الباب انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩) الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٣) المقنع (١/ ٢٨٥) المعتمد (١/ ٢٤٩). المغنى ٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠.

(٣) يدل على تحريم ذلك الحديث السابق، وحديث أبي الهياج الأسدي الذي أخرجه مسلم والنسائي وغيرهما أن عليًّا رضي الله عنه قال له: ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته» وفي لفظ: ولاصورة. وللتعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٣٨) المبدع (٢/ ٢٧٢) المعتمد (١/ ٢٤٩) والمغنى (٣/ ٤٣٥) قال ابن قدامة (المشرف مارُفع كثيراً بدليل قول القاسم في صفة قبر النبي ﷺ وصاحبيه لا مشرفة ولاطئة».

والكتابة عليها[١]، واتخاذها مساجد[٢]، واستقبالها للدعاء[٣]، والسجود عليها، والصلاة عندها[٤]، وتقبيلها[٥]، وتبخيرها[٦]، وإسراجها[٧]، والجلوس عليها[٨]، ووضع الفسطاط والخيمة عليها[٩]، وكسوة القبر[١٠]،

---

(١) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها».
ولمزيد من الفائدة راجع: المقنع (١/ ٢٨٥) الكافي (١/ ٢٧٠) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المبدع (٢/ ٢٧٣) المعتمد (١/ ٢٤٩) والمغني (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠).

(٢) لقوله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ماصنعوا متفق عليه، وقال: «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» أخرجه مسلم.
وانظر: الكافي (١/ ٢٦٧) كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١ج٢٥٠) والمغني ٢/ ٤٧٥.

(٣) لما أخرجه أبو يعلى الموصلي عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وحدثه بقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتتخذوا قبري عيداً..» وحسنه السخاوي في القول البديع (ص١٥٥) وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠: ١٥١).

(٤) للحديث الذي أخرجه مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم «لاتجلسوا على القبور ولاتصلوا عليها». وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥٠: ١٥١) المبدع (٢/ ٢٧٤) والمغني (٣/ ٤٤١) قال ابن قدامة «ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها. وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها.

(٥) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠) المعتمد (١/ ٢٤٩) المغني ٥/ ٤٦٨.

(٦) انظر: المعتمد (١/ ٢٤٩).

(٧) للحديث الوارد) «لعن رسول الله، ﷺ، زائرت القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما قال ابن قدامة في المغنى «ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ، من فعله ولأن فيه تضييعاً للمال وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام». ولمزيد من الاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤١) والمبدع. (٢/ ٢٧٤) والمعتمد (١/ ٢٥٠) والمغنى ٣/ ٤٤٠.

(٨) للحديث المتقدم في رقم (١) وانظر الكافي (١/ ٢٧٠) المبدع (٢/ ٢٧٤) كشاف القناع (٢/ ١٣٩: ١٤٠)، والمغني ٣/ ٤٤٠ وذكر لأحمد أن مالكاً يتأول حديث النبي، ﷺ أنه نهى من يجلس على القبر أي للخلاء فقال: ليس هذا بشيء لم يعجبه رأي مالك.
والجلوس عليها ليس من أسباب الشرك بل النهي عن الجلوس عليها لأجل توهين المقبور فالأولى أن يقال: والجلوس عندها، وهو العكوف والمجاورة عند القبور.

(٩) انظر: المبدع (٢/ ٢٧٣) كشاف القناع (٢/ ١٣٩) المغني ٣/ ٥١٦ كره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاط وأوصى أبو هريرة حين حضره الموت أن لاتضربوا عليَّ فسطاط.

(١٠) انظر: كشاف القناع (٢/ ١٣٩).

والطواف به[١]، والاستشفاء بتربته من الأمراض[٢] والتمسح به[٣]، وشد الرحال إليه[٤].

(١) إذ يقول الله تعالى: ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾ سورة الحج الآية (٢٩) فمن طاف بغير البيت الحرام فقد شبهه بالبيت الحرام وذلك تعظيم لما لم يأذن الله بتعظيمه، وتشريع في الدين بما لم يأذن به الله ومفضاة إلى الإشراك بالله تعالى وتبديل دينه.
ولمزيد من التعرف على موقف الحنابلة في هذه المسألة انظر: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٢) إن الشافي هو الله تعالى، وطالب الشفاء ينبغي له أن يطلبه من الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة لطلب الشفاء، والمستشفى بالتراب - تراب المقبور - مبتدع ما لم يأذن به الله، معتقد للشفاء والبركة بما لم يرد في شأنه دليل شرعي، ويخشى عليه من الإشراك بالله حيث إنه بذلك معتقد لإمكانه التأثير نفعاً وضراً في التراب ومن ثم في المقبور نفسه، وهذا شرك خطير، وللاستزادة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٣) لأن في ذلك تشبيها للقبر بالحجر الأسود الذي شرع الله تعالى مسحه، وهذا شرع في الدين بغير إذنه تعالى، والمزيد من التعرف على موقف الحنابلة راجع: كشاف القناع (٢/ ١٥٠) والمغني ٥/ ٤٦٧.

(٤) شد الرحال محرم لغير المساجد الثلاثة وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». متفق عليه.
وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٢١١) كشاف القناع (٢/ ١٥٠). المغنى ٣/ ١١٧.

ثانياً: نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام أحمد وبعض أتباعه.

جاء عن الإمام أحمد وبعض أتباعه النهي عن أنوع من الشرك الأكبر والأصغر: كدعاء غير الله(١)، والاستغاثة بغير الله(٢)، والنذر لغير الله(٣)، والحلف بغير الله(٤)، والتوكل على غيره(٥)، والسجود لغير الله(٦)، والذبح لغير الله(٧)، واعتقاد أن أحداً غير الله يعرف الغيب(٨)،

---

(١) قال تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾ (سورة غافر، الآية: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿**ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولايضرك**﴾ (سورة يونس، الآية: ١٠٦). وانظر: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢: ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(٢) قال تعالى: ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٩)، ولمزيد من التعرف على أقوال الحنابلة راجع المصادر السابقة.

(٣) إذ يقول الله تعالى: ﴿**وليوفوا نذورهم**﴾ (سورة الحج، الآية: ٢٩)، والنذر عبادة، والعبادة لاتنبغي إلا لله، فالنذر لغير الله إشراك به سبحانه. وانظر: كشاف القناع (٢/ ١٥١) المعتمد (٢/ ٥٠٣: ٥٠٤).

(٤) لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» أخرجه أحمد (٢/ ٦٧، ١٢٥) وغيره وانظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٧٦ و ٦٤) المقنع (٤/ ٢٠١) الإفصاح (٢/ ٣٢٠، ٣٢٣) الكافي (٤/ ٣٧٦) الفروع (٦/ ٣٤٠) والمعتمد (٢/ ٤٨٣، ٤٨٤).

(٥) قال تعالى: ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾سورة ابراهيم، الآية: ١١). وقال: ﴿**وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**﴾ (سورة المائدة، الآية: ٢٣). فالتوكل على غير الله صرف للعبادة لغيره تعالى وهذا شرك به - عز وجل - وللاستزادة ارجع إلى: الفروع (٦/ ١٦٥) المقنع (٤/ ١٥٢، ١٥٣) كشاف القناع (٦/ ١٦٨).

(٦) قال تعالى: ﴿**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٤٣)، فالسجود لغير الله إشراك به سبحانه وصرف للعبادة لغيره - عز وجل -، وانظر: المبدع (٩/ ١٧٢) المقنع (٤/ ١٥٢: ١٥٣) الفروع (٦/ ١٦٥) كشاف القناع (٦/ ١٦٩).

(٧) قال تعالى: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾ (سورة الكوثر، الآية: ٢)، وانظر: الكافي (١/ ٤٧٩، ٤٨٢) المغني (٨/ ٥٦٨) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٠).

(٨) لقوله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً**﴾ (سورة الجن، الآية: ٢٦). وللاستزادة من أقوال الحنابلة ارجع إلى: المقنع (٤/ ١٦٢) كشاف القناع (٦/ ٦٩) المعتمد (٢/ ٤٤٩) والمغنى ١٢/ ٣٠٥.

أو اعتقاد أن لأحد غير الله تصرفاً في الكون[١]، أو اعتقاد أن الكوكب له تأثري والتقرب إلى الكواكب[٢].

قال في الإقناع وشرحه «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم كفر إجماعاً لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام»[٣].

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي[٤]: «إن من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبدالقادر افعل لي كذا فهو كافر بهذه الأوضاع ومن دعا ميتاً وطلب قضاء الحوائج فهو كافر»[٥][*].

وقال أيضاً: «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبداللات والعزى»[٦].

وقال أيضاً في كتاب الفنون «لقد عظم الله الحيوان لاسيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن

---

(١) قال تعالى: **﴿قل ادعوا الذين زعمتهم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير. ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** (سورة سبأ، الآيتان ٢٢: ٢٣) وانظر: المقنع (٤/ ١٩٥) المغني ١٢/ ٣٠١.

(٢) لقوله تعالى في الحديث القدسي: **﴿وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب﴾** أخرجه البخاري ومسلم.

والتقرب إلى الكواكب هو تقرب لغير الله تعالى باعتقاد أن له نفعاً وضراً وتأثيراً وهذا من أكثر الكفر. وانظر: الإفصاح لابن هبيرة (٢/ ٢٢٦) والمغني (١٢/ ٣٠١).

(٣) (٦/ ١٦٨).

(٤) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي وكنيته أبو الوفاء، قال عنه الذهبي (الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة) توفي سنة ٥١٣هـ، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣ - ٤٥١.

(٥) كتاب «حكم الله الواحد الصمد» ص (٤٤).

(٦) عقيدة الموحدين ص ٦٤.

(*) أي بعد أن أقيمت عليه الحجة واتضحت لديه المحجة.

تعظم شعائره وتوقر أوامره وعظم عرضك بإيجاب الحد بقذفك وعظم مالك بقطع يد مسلم في سرقته وأسقط شطر الصلاة في السفر لأجل مشقتك وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس وأباحك الميتة سدًّا لرمقك وحفظاً لصحتك وزجرك عن ماضرك بحد عاجل ووعيد آجل، وخرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن لك مع هذا الإكرام أن يراك على ما نهاك منهمكاً، ولما أمرك تاركاً، وعلى ما زجرك مرتكباً وعن داعيه معرضاً، ولداعي عدوه فيك مطيعاً يعظمك وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت، وهو حط رتبة عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع عن سجدة يسجدها لأبيك، هل عاديت خادماً طالت خدمته لك لترك صلاة، هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي ما فإن لم تعترف اعتراف العبد للمولى، فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المساوي المكافي ما أفحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان، بينا هو بحضرة الحق سبحانه وملائكة السماء سجود له، ترامى به الأحوال والجهات إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لشمس أو لقمر، أو لصورة ثور خار، أو لطاير صفر، ما أفحش زوال النعم وتغير الأحوال بعد الكور، لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن يرى إلا عابداً لله في دار التكليف أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها»[١].

قال ابن رجب[٢]: «إن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له

---

(١) كتاب الفنون كما في عقيدة الموحدين ص ٦٤، ٦٥.

(٢) هو زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرىء المحدث شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد رجب عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب قال عنه ابن العماد: «الإمام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب»، توفي سنة ٧٩٥ هـ.
شذرات الذهب (٦/٣٣٩ - ٣٤٠).
والدرر الكامنة لابن حجر (٢/٤٢٧ - ٤٢٨).

غير الله، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله - عز وجل -، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر[١] والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء،[٢]، وعلى الحلف بغير الله[٣]، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان[٤]، وكذلك قوله: مالي إلا الله وأنت وكذلك ما يقدح في التوحيد، وتفرد الله بالنفع والضر، كالطيرة[٥]، والرقى

(١) كما ورد في الحديث: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) وابن أبي شيبة في الإيمان (٤٦) والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وغيرهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٦٠/ ٤١٤٣).
وكما ثبت: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» أخرجه البخاري (١/ ١٣٥) ح ٤٨ في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله من حديث أبي وائل عن ابن مسعود مرفوعاً، وأخرجه كذلك مسلم وغيره.
وورد أيضاً: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» أحمد (١/ ١٢٥) أبو داود (٣/ ٥٧٠) والترمذي (٤/ ١١٠) والحاكم (١/ ٥٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٦٧/ ٦٢٠٤).

(٢) كما ورد في الحديث: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك» أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) والطبراني في الكبير (٧/ ٣٣٧) والحاكم (٤/ ٣٢٩) وصححه كلهم من حديث شداد بن أوس.

(٣) راجع التخريج السابق تحت رقم (١).

(٤) كما قال النبي، ﷺ، لمن قال له: «ماشاء الله وشئت. قال: أجعلتني لله عدلاً، لا بل ما شاء الله وحده» أحمد (٣/ ٢٥٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح وأخرجه ابن ماجه (١/ ٦٨٤). والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤).

(٥) كما في مثل قوله، ﷺ: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠). والطبراني وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٥/ ٦٢٦٤) وهو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا.

المكروهة[١]، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون[٢]، وكذلك اتّباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله[٣].

إلى أن قال: فمن أحب شيئاً مما كرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه الله[٤]، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[٥]، قال الليث عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[٦]، قال: «لا يحبون غيري».

وفي صحيح الحاكم[٧] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء»[٨]، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾»[٩]، وهذا نص في أن محبة ما

---

(١) كما في الحديث: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (٤/ ٢١٢) وابن ماجه (٢/ ١١٦٧) والحاكم (٤/ ٢١٧) وصححه من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٢) كما أتى في الحديث: «من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أحمد (٢/ ٤٢٩).
والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣١/ ٥٩٣٩).

(٣) قال تعالى: **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾** (سورة الجاثية، الآية: ٣٣).

(٤) وفي الحديث: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» أبو داود (٥/ ٦٠) ح ٤٦٨١ في السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والضياء وغيرهما من حديث أبي أمامة مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٤) (٥٩٦٥).

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(٦) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٧) في إطلاق ذلك اللفظ تجوز كبير فإن كتاب الحاكم فيه الصحيح وغير الصحيح.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٩) الحاكم (٢/ ٢٩١) من حديث عروة عن عائشة وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي في تلخيصه، عبد الأعلى قال الدارقطني ليس بثقة. وصحح أوله الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٩٣/ ٣٧٣٠).

يكرهه الله، وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاة على ذلك المعاداة فيه من الشرك الخفى»[١] أ.هـ

وقد ذكر العلامة (أبو بكر بن محمد خوقير)[٢] في كتابه (ما لابد منه) نماذج من الشرك التي حذر منها النبي ﷺ لحماية جناب التوحيد وهي:

١ - الرقى والتمائم من غير القرآن[٣].

٢ - التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه[٤].

٣ - الذبح لغير الله[٥].

---

(١) كلمة الإخلاص. ضمن مجموعة الرسائل الكمالية (١٨/ ١٩/ ٢٢: ٢٣).

(٢) هو أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر بن محمد بن علي خوقير المكي الكتبي الفقيه الحنبلي ولد بمكة سنة ١٢٨٢هـ وتوفى بها سنة ١٣٤٩هـ.
انظر: ترجمته في الأعلام (٢/ ٧٠) ومعجم المؤلفين (٣/ ٧٣).

(٣) وفي الحديث: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» سبق تخريجه. وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله: - «التعليق كله يكره والرقى ما كان من القرآن فلا بأس به». وانظر مسائل الكوسج (٢/ ١٦٩).
وقال في علاج المجنون من الصرع بالرقى والعزائم: «ما أحب لأحد أن يفعله، وتركه أحب إلي» راجع الأحكام السلطانية (ص٣٠٨).

(٤) التبرك بالأشجار والأحجار ونحوه من ذرائع الشرك وقد قال النبي، ﷺ، لما أراد الصحابة اتخاذ شجرة يعلقون فيها أسلحتهم مثل المشركين. فقال لهم: «الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة..» أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٥) ح ٢١٨٠ في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن.. وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٢٤٨) ح ٦٦٦٧ وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٥٩) والحميدي في مسنده (٢/ ٣٧٥) ح ٨٤٨ وابن جرير في التفسير (٩/ ٤٥) والطيالسي (١٣٤٦) وابن أبي عاصم في السنة / ١/ ٣٧) رقم ٧٦ واللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ١٢٤) رقم ٢٠٤، ٢٠٥ والطبراني في الكبير وغيرهم جميعهم من حديث أبي واقد الليثي مرفوعاً وهو حديث صحيح.
وقد أنكر الإمام أحمد على من مسح جسده بيده - أي جسد الإمام - ثم مسح جسده بها يتبرك بذلك، فغضب وقال: عمن أخذتم هذا، وأنكره إنكاراً شديداً. وانظر طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٨) المنهج الأحمد (١/ ٤٢٨).

(٥) وقد قال النبي، ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله...» أخرجه مسلم (٣/ ١٥٦٧) ح ١٩٧٨ في الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله من حديث أبي الطفيل عن علي وأخرجه غيره.
وقد منع الإمام أحمد أكل ما ذبح لغير الله وشدد في ذلك، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (١٢٩ : ١٣١).

٤ - النذر لغير الله تعالى[١].

٥ - الاستعاذة بغير الله تعالى[٢].

٦ - الاستغاثة بغير الله تعالى ودعاء غيره[٣].

٧ - الاستشفاع بغيره (بمعنى طلب الشفاعة من الغير)[٤].

٨ - الغلو في الصالحين بالإطراء[٥].

٩ - عبادة الله عند قبر رجل صالح[٦].

١٠ - السحر والكهانة[٧].

---

(١) من المعلوم أن النذر عبادة، ولاينبغي أن تصرف العبادة إلا لله تعالى وقد قال - عز وجل: **﴿يوفون بالنذر﴾** (سورة الإنسان، الآية: ٧)، وقال: **﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم﴾** (سورة الحج، الآية: ٢٩).

(٢) الاستعاذة هي الالتجاء والتحصن، ولاتجوز إلا في حق الله عز وجل، وقد قال تعالى في كتابه الكريم: **﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾** (سورة النحل، الآية: ٩٨)، وقال أيضا: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾** (سورة فصلت، الآية: ٣٦). وقالت مريم عليها السلام: **﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا﴾** (سورة مريم، الآية: ١٨).

(٣) لاتجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلا الله، قال تعالى: **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾** (سورة الأنفال، الآية: ٩). وقال - عز وجل -: **﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن﴾** (سورة الأحقاف، الآية: ١٧)، وكذلك لا يدعى غير الله تعالى، فإن الدعاء هو العبادة كما ثبت، وقد قال تعالى: **﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾** (سورة غافر، الآية: ٦٠).

(٤) قال الله تعالى: **﴿ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** (سورة سبأ، الآية: ٢٣)، وقال أيضاً: **﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾** (سورة الزمر، الآية: ٤٤).

(٥) كما نهى النبي، ﷺ عن إطرائه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله» أخرجه البخاري (٦/ ٥٥١) ح ٣٤٤٥ في أحاديث الأنبياء باب قول الله: **﴿واذكر في الكتاب مريم﴾** من حديث ابن عباس عن عمر مرفوعاً، فلما حرم إطراء النبي، ﷺ، حرم في حق غيره من باب أولى.

(٦) ويرد في هذا الباب أحاديث النبي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك واتخذ قبور الأنبياء مساجد وهي ثابتة في الصحيحيحن وغيرهما.

(٧) قال الله تعالى في السحر: **﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾** (سورة البقرة، الآية: ١٠٢)، والكاهن وهو الذي يدعي علم الغيب كافر لأنه لايعلم الغيب إلا الله، قال =

١١ - النشرة والتطير[١].

١٢ - الاستسقاء بالأنواء[٢].

١٣ - محبة غير الله كمحبته والخوف منه[٣].

١٤ - الرياء وإرادة الدنيا بالعمل[٤].

١٥ - طاعة العلماء والأمراء في معصية الله أو تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم[٥].

= تعالى: ﴿**قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ (سورة النمل، الآية: ٦٥).
وقد سئل الإمام أحمد - رحمه الله -: الكاهن شر أو الساحر؟ قال: كلٌ شرٌ. أورده الخلال في أحكام أهل الملل (ص ٢٠٨)، وسئل - رحمه الله - عن الساحر فقال: إذا عرف بذلك فأقر يقتل. وانظر مسائل عبد الله بن أحمد ص (٤٢٧) وأحكام أهل الملل (ص ٢٠٧) وقال: الكاهن يدعي الغيب والساحر يعقد، راجع أحكام أهل الملل (٢٠٨).

(١) وقد ورد في الحديث: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». سبق تخريجه، والتطير هو التشاؤم بشيء معين كيوم معين أو طير معين أو رقم معين أو غير ذلك.

(٢) وفي الحديث: «وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» أخرجه البخاري (٢/٣٨٨) ح ٨٤٦ في الأذان باب يستقبل الإمام الناس، مسلم (١/ ٨٣/ ٨٤) ح ١٧ في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، كلاهما من حديث عبيد الله بن عبدالله عن زيد بن خالد الجهني مرفوعاً وهو حديث قدسي.

(٣) محبة غيرالله كمحبته من الشرك، قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ سورة البقرة، الآية: ١٦٥)، وكذلك الخوف من غير الله تعالى كمخافة الله شرك كذلك، قال تعالى: ﴿**فلا تخشوا الناس واخشون**﴾ (سورة المائدة، الآية: ٤٤). وقال تعالى: ﴿**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٧٥). وأما الخوف الطبيعي مع اعتقاد أن النفع والضر بيد الله وحده ليس بشرك ولاشيء فيه. وقد قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿**فخرج منها خائفا يترقب**﴾ (سورة القصص، الآية: ٢١).

(٤) وفي الحديث: «من صلى يرائي فقد أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك» سبق تخريجه، وقد قال تعالى في حق من أارد الدنيا بعمله: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**﴾ (سورة هود، الايتان: ١٥ - ١٦).

(٥) قال تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا**

١٦ - اتخاذ الأضداد[١][*].

١٧ - الحلف بغير الله[٢].

١٨ - قرن مشيئة الله بمشيئة المخلوق كنحو: ما شاء الله وشاء فلان[٣].

١٩ - سب الدهر[٤].

٢٠ - التسمي بقاضي القضاة[٥].

٢١ - الهزل بشيء فيه ذكر الله[٦].

٢٢ - الاستشفاع بالله على أحد من خلقه.. أ.هـ[٧].

= **إلها واحداً لا إله إلا هو﴾** (سورة التوبة، الآية: ٣١)، وذلك لأنهم أحلوا لهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحل فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم إياهم من دون الله تعالى، وفي الحديث: «إنما الطاعة في المعروف» متفق عليه من حديث علي مرفوعاً.

(١) وهم من يضادون الله تعالى في حكمه أو شرعه أو أمره أو غير ذلك فيسويهم بالله تعالى ويطيعهم.

(٢) وفي الحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» سبق تخريجه.

(٣) وقد قال النبي، ﷺ لمن قال له ذلك: «أجعلتني لله عدلاً؟ قل ما شاء ثم شئت» سبق تخريجه كذلك.

(٤) وقد ورد في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» متفق عليه من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٥) وذلك لأن قاضي القضاة هو الله تعالى، لا راد لقضائه، وقد جوَّز بعض العلماء إطلاقها مقيدة كأن يقال: قاضي قضاة اليمن، أو نحو ذلك.

(٦) قال تعالى: **﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** (سورة التوبة، الآيتان ٦٥، ٦٦). فالاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أمر خطير جداً.

(٧) وفي الحديث: «. . إنه لايستشفع بالله على أحد. . .» أخرجه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في قصة طويلة، لكنه حديث فيه ضعف.
راجع الكلام في كتاب (مالابد منه) ص ٢٧ : ٢٩.

(*) وهم الأنداد.

الفصل الثاني:

شرح القواعد الأربع
لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب
التيمي الحنبلي

بقلم
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس



تمهيد

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطِيَ شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الثلاث عنوان السعادة.

اللغة: (يتولاك) يتخذك ولياً بالمحبة والتوفيق والتسديد.

الشرح: بدأ رحمه الله تعالى بالدعاء وسؤال المولى عز وجل، الكريم، رب العرش العظيم أن يتولى القارئ لهذا الكتاب، في الدنيا والآخرة، أما التولي في الدنيا فبالمحبة، والهداية والتسديد والنصرة، وأما التولي في الآخرة فإنه يكون بالرحمة والمغفرة، والوقاية من النيران، ودخول جنة الرضوان، ثم دعا له كذلك بالبركة أينما كان، وبأن يجعله الله تعالى مستوفياً لمظاهر العبودية ومقاماتها، وهي ثلاث:

الأول: شكر النعمة: عند العطاء، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[1] وكما قال ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[2] وكما في قوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3].

وشكر النعمة يكون بالقلب إقراراً واعترافاً وامتناناً، وباللسان تحدثاً بالنعمة وحمداً عليها، وبالجوارح عملاً بمرضاة المنعم سبحانه.

الثاني: الصبرعلى البلاء: والمصائب والمكروهات التي تنزل بالإنسان ابتلاءً واختباراً من الله، والواجب فيها الصبر، وهو حبس القلب عن التسخط والقنوط وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عما

---

(١) سورة سبأ الآية (١٣).

(٢) سورة الزمر الآية (٧).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٢).

ينافي الصبر ويناقضه، وقد قال تعالى ﴿**واصبر على ما أصابك**﴾[١] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢].

الثالث: الاستغفار عند الذنب: إذ كل بني آدم خطاء، ولكن الواجب على الإنسان إذا وقع في معصية أن يسارع بالاستغفار والتوبة، كما قال تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

فهذه الأمور الثلاثة: شكر النعمة، والصبر على البلاء، والاستغفار عند الذنب.

مَن وجدت فيه كان من أهل السعادة ولاشك، بل إن السعادة مرتبطة بهذه الثلاث أكثر من غيرها، وكلها فيها معاني التوحيد والانقياد والإذعان والإقبال على الله تعالى.

فهذه الأمور الثلاثة : شكر النعمة، والصبر على البلاء، والاستغفار عند الذنب من وجدت فيه كان من أهل السعادة ولاشك، بل إن السعادة مرتبطة بهذه الثلاث أكثر من غيرها، وكلها فيها معاني التوحيد والانقياد والإذعان والإقبال على الله تعالى.

---

(١) سورة لقمان الآية.
(٢) سورة البقرة الآية (١٥٥).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٣٥).

المبحث الأول
أصل الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين كما قال تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة.

اللغة: (الحنيفية) أصل الحنيف هو المائل عن الشرك المستقيم على التوحيد

الشرح :بدأ الشيخ رحمه الله ببيان أصل الحنيفية، وهي ملة إبراهيم عليه السلام، وأساسها ما قاله سبحانه وتعالى داعياً الناس إلى اتباع إبراهيم عليه السلام :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[1] وقال تعالى :﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] فأصلها إفراد الله تعالى بالعبادة وإخلاصها له، كما قال عز وجل :﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] فالله تعالى ما خلق الإنسان إلا لعبادته، والعبادة لا يصدق عليها هذا الاسم إلا بالتوحيد لأنه من شروط صحتها، إخلاصها لله تعالى، تماماً كما أن الصلاة لا يصدق عليها اسم الصلاة إلا بالطهارة، لأنها شرط في وجودها، وإلا فإن الشرط إذا انعدم انعدم المشروط ودخول الشرك على العبادة يبطلها ويفسدها، كما أن طروء الحدث يفسد الطهارة ويبطلها

---

(١) سورة النساء الآية (١٢٥).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٦١).

(٣) سورة الذاريات الآية (٥٦).

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه :﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

اللغة: (أحبط) أبطل (ما دون ذلك) أي ما هو أقل من الشرك من المعاصي وغيرها.

الشرح :فإذ قد تبين أن الشرك يفسد العبادة إذا خالطها، فيضيع أجرها، وترد على صاحبها ويحبط العمل، كما قال تعالى :﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] واستحق الواقع في هذا الشرك، الفاعل له، استحق الخلود في النار، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾، وكما قال تعالى :﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ **حينئذ يتضح أن أهم ما يجب على العبد معرفته هو كيف يوحد الله تعالى، وكيف يجتنب الشرك به لعله أن يفلت من هذه الشبكة الشيطانية التي وضعها الشيطان ليضل الناس عن ربهم ويوقعهم في الإشراك به، وهو ما لا يغفره الله تعالى، كما قال عز وجل :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[4].**

ولا يتم ذلك إلا بمعرفة القواعد الأربع الآتية، والتي ذكرها الله في كتابه.

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٥).

(٢) سورة التغابن الآية (١٠).

(٣) سورة المائدة الآية (٧٢).

(٤) سورة النساء الآية (١١٦).

الخلاصة:

١ - أصل ملة إبراهيم عليه السلام إخلاص العبادة لله تعالى وعدم الإشراك به.

٢ - الشرك يفسر العبادة ويحبط العمل، وصاحبه مخلَّد في النار.

٣ - أهم ما يجب على العبد معرفته، معرفة التوحيد للعمل به، ومعرفة الشرك لاجتنابه.

المناقشة:

س١: ما أصل ملة إبراهيم عليه السلام؟ وما الدليل؟

س٢: وضح أثر الشرك على العبادة، وماذا يشبه؟ مع التمثيل.

س٣: ما أهم ما يجب على العبد تعلمه ومعرفته؟

المبحث الثاني
القاعدة الأولى

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى :﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾.

اللغة :(مقرون) معترفون (المدبر) المصرف (تتقون) تجعلون بينكم وبين ما تخافونه وقاية وحاجزاً.

الشرح : أولى هذه القواعد العلم بأن المشركين على عهد رسول الله ﷺ من كفار مكة وغيرهم، كانوا مقرين ومعترفين بأمر الربوبية، وهي انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير والتصرف في الكون، لم يشركوا معه في ذلك غيره، والأدلة على ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ.. **إلى قوله:** فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1] وكذلك قوله تعالى :﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ...﴾[2].

والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً، وكلها توضح أن المشركين أقروا لله تعالى بالانفراد بالخلق والرزق والتصريف والتدبير، لكنهم أشركوا في العبادة، فلم ينفعهم ذلك الإقرار، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرم دماءهم وأموالهم، بل قاتلهم النبي ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم

---

(١) سورة يونس الآية (٣١).

(٢) سورة لقمان الآية (٢٥).

بذلك، ولم يحكم عليهم بالإسلام لمجرد إقرارهم بالربوبية، بل جعل قيامهم بتوحيد الألوهية إقراراً وعملاً شرطاً للحكم لهم بالإسلام، والكف عنهم، وحقن دمائهم.

الخلاصة:

١ - إن المشركين على عهد الرسول ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

٢ - الإقرار بالربوبية لا يكفي لإثبات حكم الإسلام للشخص.

المناقشة:

س١: ما موقف المشركين في عهد الرسول ﷺ من توحيد الربوبية؟ هات ثلاث آيات تدلل بها على ما تقول.

س٢: ما موقف الرسول ﷺ من هؤلاء المشركين في عهده؟

س٣: هل الإقرار بالربوبية يكفي لثبوت حكم الإسلام؟ دلل على ما تقول.

المبحث الثالث
القاعدة الثانية

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فدليل القربة قوله تعالى :﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة.

اللغة :(زلفى) قربي (شفعاؤنا) جمع شافع وشفيع وهو من يتوسط لجلب نفع أو دفع ضر.

الشرح :وهؤلاء الكفار احتجوا لدعائهم وعبادتهم آلهة أخرى من دون الله، بأنهم ما دعوهم ولا توجهوا إليهم إلا لسببين: الأول: أن يقرهم هؤلاء المعبودون إلى الله تعالى، والثاني: أن يشفعوا لهم عند الله. والدليل على الأول قوله تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1] أي إنما دعوناهم وعبدناهم كي يكونوا سببا في تقربنا إلى الله تعالى ونيل المنزلة عنده، والدليل على الثاني قوله تعالى :﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[2] أي إنما عبدناهم ليشفعوا لنا عند الله تعالى في جلب النفع، ودفع الضر. ثم بين الشيخ أن الشفاعة نوعان في كتاب الله تعالى: الأول شفاعة نفاها القرآن وأنكرها ومنع حصولها. والنوع الثاني شفاعة مثبتة اثبت القرآن وقوعها يوم القيامة بالدليل الواضح

---

(١) سورة الزمر الآية (٣).

(٢) سورة يونس الآية (١٨).

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى :﴿ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولاخلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾ والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضى الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى :﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

اللغة :(خلة) محبة

الشرح :أما الشفاعة التي نفاها الله تعالى في كتابه حيث قال :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾[1].

فهي الشفاعة التي يطلب فيها من غير الله شيء لا يقدر عليه إلا الله، كمن يطلب من غير الله أن يدخله الجنة مثلًا أو ينجيه من النار، وكذلك يدخل في الشفاعة المنفية الشفاعة لمن لم يأذن فيه الله كالكفار، أو الشفاعة ممن لم يأذن له الله.

وأما الشفاعة المثبتة فهي التي تطلب من الله وتكون بإذنه، فالذي يشفع يكرمه الله تعالى بالشفاعة، والمشفوع له هو الذي يرى الله تعالى قوله وعمله بعد إذنه تعالى بالشفاعة، كما قال تعالى :﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2]و الشفاعة الحق المثبتة لا تكون إلا بعد توافر شرطين:

الأول: الإذن للشافع أن يشفع، كما في الآية السابقة.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٤).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

الثاني: الرضى عن المشفوع فيه، وذلك كما في قوله تعالى :﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[١].

وبهذا تكون الشفاعة كلها بإذن الله تعالى وبيده، وبأمره، كما قال تعالى :﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[٢].

الخلاصة:

١ – الكفار عبدوا غير الله تعالى طلباً للقربة والشفاعة عند الله.

٢ – النية الطيبة لا تكفي بدون اتباع السنة.

٣ – لشفاعة نوعان: مثبتة ومنفية.

٤ – شروط الشفاعة: الإذن للشافع، والرضى عن المشفوع فيه.

المناقشة:

س١: ما الذي حمل الكفار على عبادة غير الله؟ دلل على ما تقول.

س٢: ما هي أنواع الشفاعة؟ اذكر دليلًا واحداً لكل نوع.

س٣: ما هي شروط الشفاعة المثبتة؟

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٨).

(٢) سورة الزمر الآية (٤٤).

المبحث الرابع
القاعدة الثالثة

القاعدة الرابعة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم والدليل قوله تعالى :﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى :﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾.

اللغة: (فتنة) الفتنة هي الشرك (آيات) علامات ودلائل.

الشرح: إن النبي ﷺ قد بعث إلى أقوام متفرقين في عبادتهم، متنوعين في أديانهم، منهم من يعبد الملائكة، أو الأنبياء والصالحين، أو الأشجار والأحجار أو الشمس والقمر، فشرع الله تعالى لنبيه ﷺ أن يقاتلهم، بل أمره بذلك، دونما تفريق بينهم، أمره بقتالهم جميعاً حتى يكون الدين لله، وحتى يظهر الإسلام على ما عداه من الملل، فقال تعالى :﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(١) فقاتلهم ﷺ كلهم حتى أنزلهم على حكم الإسلام وشرائع الإسلام ومما يدل على وجود من يعبد الشمس والقمر، ونهي الله لهم عن ذلك قوله تعالى:﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنفال الآية (٣٩)

(٢) سورة فصلت الآية (٣٧).

ودليل الملائكة قوله تعالى :﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ ودليل الأنبياء قوله تعالى :﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾.

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى :﴿أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى﴾ وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال :«خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم

اللغة :(يبتغون) يطلبون (حدثاء عهد) قريبو زمن (سدرة) شجرة سدر وهو النبق (ينوطون) يعلقون.

الشرح: ومما يدل علي وجود من كان يعبد الملائكة ونهي الله لهم عن ذلك قوله تعالى :﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾[1] ومما يوضح وجود عبّاد للأنبياء وإبطال عبادتهم تلك قوله تعالى، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ فتبرأ عليه السلام من عبادتهم إياه وحكم ببطلانها، ومما يدل على وجود عبادة الصالحين والحكم ببطلانها قوله تعالى :﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨٠).

(٢) سورة المائدة الآية (١١٦).

يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» الحديث.

عَذَابَهُ﴾[١]. قال بعض المفسرين: كان طائفة من العرب يعبدون ناساً من الجن، فأسلم أولئك الجن، ولا يدري بهم من عبد يبين الله لهم أن هؤلاء الذين تعبدونهم هم أنفسهم يتقربون إلى الله تعالى ويرجون رحمته ويخافون عذابه ومما يدل على وجود عبادة الأحجار قوله تعالى :﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[٢] وهي الآلهة التي كان مشركوا مكة يعبدونها. أصناما صنعوها وعبدوها من دون الله، ومما يدل على وجود عبادة للأشجار

الشرح: حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه لما خرجوا مع النبي ﷺ إلى حنين، وكانوا حديثي عهد بكفر، لم يسلموا إلا من قريب فرأوا سدرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، كان المشركون يتبركون بها، ويعلقون بها أسلحتهم، فطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط مثلها، فكبّر وغضب وأغلظ القول لهم ونهاهم عن ذلك، وقال لهم: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى لموسى: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون»[٣] فدلّ الحديث على وجود عبادة من المشركين للأشجار، كما دل أيضاً على أن الاعتقاد في الأشجار كفر، ودل على أن فضلاء الناس وعلماءهم قد يقعون في الشرك وهم لا يشعرون، ودل على أن المرء إذا قال كلمة كفر غير عالم بكونها كفراً ولا قاصداً لذلك

---

(١) سورة الإسراء الآية (٥٧).

(٢) سورة النجم الآيتان (١٩، ٢٠).

(٣) أخرجه: أحمد (٢١٨/٥) وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) والطيالسي (١٣٤٦) والحميدي (٨٤٨) والترمذي (٢١٨٠) وقال: حسن صحيح. وغيرهم من حديث أبي واقد الليثي.

لا يكفر حتى يعلم. فأبطل الله تعالى كل أنواع العبادة هذه، وأمر رسوله ﷺ بقتال كل أولئك الناس دون تفريق بينهم.

الخلاصة:

١ - بعث النبي ﷺ إلى أناس متفرقين مللهم شتى.

٢ - قاتل النبي ﷺ كل هؤلاء الناس دون تفريق بينهم.

٣ - لا يكفر المسلم بكلمة الكفر إذا قالها غير عالم ولا متعمدٍ.

٤ - الحق قد يخفى على أكابر الناس فضلاً عن العوام.

المناقشة:

س١: اذكر بعضاً من أنواع العبادة التي كانت موجودة عن بعثته ﷺ مع ذكر دليل واحد لكل نوع منها.

س٢: هلِ فرق النبي ﷺ بين أصحاب هذه الملل؟

س٣: ماذا تستفيد من حديث الباب المذكور؟

المبحث الخامس
القاعدة الرابعة

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى :﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾.

تمت. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

اللغة: (أغلظ) أعظم وأشد (الرخاء) اليسر وحال النعمة (الشدة) العسر وحال نزول البلاء

الشرح: هذه هي القاعدة الرابعة والأخيرة، وهي أن المشركين في زماننا، الذين يصرفون شيئاً من العبادة لغير الله تعالى كالصالحين من المقبورين وغيرهم، هؤلاء أعظم شركاً وأغلظ كفراً من المشركين الأولين، وذلك لأن المشركين الأولين كانوا يشركون في حال الرخاء فقط، وأما في حال الشدة فقد كانوا يخلصون الدعاء لله، ويعلمون أنه لا ينجيهم غيره، وأن آلهتهم لن تغني عنهم شيئاً، ومما يدل على ذلك قوله تعالى :﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1] وقوله تعالى :﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٦٥).

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[1] فدلّت الآيات على أنهم كانوا يشركون في السراء فقط، وأما في الضراء فلا.

أما مشركو زماننا فإنهم يشركون في كلتا الحالين، إن أصابتهم نعمة وسراء هرعوا إلى القبور يقدمون لها القرابين ويذبحون عندها، ويقدمون الشكر للمقبورين فيها، ويسبحون بحمدهم.

وإن نزلت بهم مصيبة هرعوا عليها يستغيثون بهم، ويدعونهم، وينذرون لهم كذا وكذا إذا ارتفعت عنهم المصيبة، كما نراه جلياً عند الأضرحة المعبودة من دون الله كضريح الحسين والسيدة زينب وعبدالقادر الجيلاني والسيد البدوي وغيرهم فتبين بذلك أن شرك هؤلاء المتأخرين أعظم من شرك الأولين، لأنه شرك متواصل في كل حال. وبهذا يتم المقصود من هذه الرسالة، والحمد لله رب العالمين.

الخلاصة:

١ - المشركون الأولون كانوا يشركون حال السراء ويخلصون عند الشدة.

٢ - مشركو هذا الزمان يشركون بالله في كلتا الحالين.

٣ - مشركو زماننا أغلظ شركاً من المشركين الأولين.

المناقشة:

١ - ما الفرق بين مشركي زماننا والمشركين الأولين؟

٢ - أيهما أعظم شركاً: الأولون أم مشركو زماننا؟

٣ - ما الدليل على أن الأولين كانوا يشركون في الرخاء دون الشدة؟

---

(١) سورة الأنعام الآيتان (٦٣ : ٦٤).

الفصل الثالث:

شرح رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي

بقلم
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

المبحث الأول
أول واجب على الإنسان

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى :﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

اللغة: (فرض) أوجب (الطاغوت) فاعول من طغى، وهو كل من تجاوز حده وطغى.

الشرح: بدأ الشيخ رحمه الله رسالته ببيان أول شيء افترضه الله تعالى على الإنسان وذلك أخذاً من كتاب الله تعالى.

وذلك الفرض هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله تعالى، كما قال عز وجل :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١).

فأول شيء الكفر بالطاغوت، وهو كل ما عبد من دون الله راضياً بالعبادة، وخلع كل الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى، من شجر وحجر، وشمس وقمر: وملك وبشر، وغير ذلك، فهي لا تستحق العبادة من دون الله تعالى، لأنها لا تملك شيئاً من الأمر.

ثم بعد ذلك إخلاص الدين كله لله تعالى، وعبادته وحده، وإثبات استحقاقه لها دون غيره، وهذا الواجب - الكفر بالطاغوت والإيمان بالله - هو حقيقة معنى لا إله إلا الله، فإنها نفي وإثبات (لا إله) تنفي

---

(١) سورة النحل الآية (٣٦).

استحقاق العبودية عن غير الله تعالى، وهذا هو الكفر بالطاغوت. (إلا الله) تثبت العبودية لله تعالى وحده دون غيره، وبهذا يتبين أول واجب على العبد فإنه ليس النظر العقلي ولا غيره، كما زعم طوائف من المتكلمة وغيرهم وإنما هو ما ذكر من الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله تعالى.

الخلاصة:

١ - أول واجب على العبد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله تعالى.

٢ - الطاغوت كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

٣ - زعم طوائف من المتكلمة أن النظر العقلي هو أول واجب على المكلف.

المناقشة:

س١: ما أول واجب على الإنسان؟ اذكر الدليل.

س٢: ما معنى كلمة الطاغوت؟

س٣: بين حقيقة معنى لا إله إلا الله، وما المقصود بأنها نفي وإثبات؟

س٤: من الذي خالف في أول واجب على المكلف؟ وما مذهبهم؟

المبحث الثاني
معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله

فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله فهو أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه

اللغة:

الشرح: أما صفة الكفر بالطاغوت فهي أن يعتقد الإنسان بطلان عبادة غير الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[1] وأن يترك الإنسان هذه العبادة فلا يقربها ولا يشرك فيها مع الله أحداً، وأن يبغض الكفر وعبادة الطاغوت ويكرهها، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[2] وأن يحكم على أهلها بالكفر، ويعاديهم فلا يواليهم ولا يحبهم، ولا يناصرهم.

ومعنى الإيمان بالله تعالى أن يعتقد المرء أن الله تعالى هو الإله المعبود المستحق للعبادة دون سواه فلا مستحق للعبادة غيره، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[3].

وكذلك يخلص جميع أنواع العبادة لله تعالى، من صلاة وصيام وزكاة وحج، ودعاء، ونذر وتوكل ورغبة ورهبة وغيرها، فينفيها عن كل

---

(١) سورة الحج الآية (٦٢).
(٢) سورة الزمر الآية (٧).
(٣) سورة الحج الآية (٦٢).

معبود غيره، ويخلصها لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾[1] فلا يجوز صرف نوع منها أو شيء منها لغير الله، وإلا فهو الشرك.

(١) سورة الزمر الآية (١٤).

وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله :﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاءمنكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾.

اللغة: (سفه) استغفل وأساء إليها وظلمها (الأسوة) القدوة (بدا) ظهر.

الشرح: ويدخل في الإيمان بالله محبة أهل الإخلاص لله تعالى وأهل التوحيد، وموالاتهم بمحبتهم ونصرتهم ومودتهم، وكذلك بغض أضدادهم من أهل الشرك ومعاداتهم، وترك موالاتهم وقد قال ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[1].

وهذا الذي سبق بيانه هو ملة إبراهيم عليه السلام، التي قال الله تعالى عنها :﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[2] وقد بين تعالى موقف إبراهيم عليه السلام ومن تبعه من المؤمنين من أقوامهم وأهلهم الكفار فقال مؤكداً أن هذه هي الأسوة التي يجب علينا التأسي بها، والاقتداء بها ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ......﴾[3].

فتبرأوا منهم، وكفروا بهم وبما يعبدون من دون الله، وصرحوا لهم

---

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (١١/ ٢١٥) والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٥٣) وأخرج نحوه أحمد (٤/ ٢٨٦) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٩٨) لشواهده.

(٢) سورة البقرة الآية ((١٣٠).

(٣) سورة الممتحنة الآية (٤).

بالعدواة والبغضاء وقطع المودة حتى يخلصوا الإيمان لله تعالى، ويفردوه بها دون غيره، ويخلعوا هذه الآلهة الباطلة.

الخلاصة:

١ - صفة الكفر بالطاغوت هي اعتقاد بطلان عبادته، وتكفير أهلها ومعاداتهم.

٢ - من الإيمان بالله إخلاص العبادة له، ومحبة أهل الإيمان وموالاتهم.

٣ - هذان الأصلان هما اصل ملة إبراهيم عليه السلام.

المناقشة:

س١: ما أصل ملة إبراهيم عليه السلام؟

س٢: تكلم بإيجاز عن صفة الكفر بالطاغوت.

س٣: هل هناك علاقة بين الإيمان بالله وبين محبة أهل الإيمان وموالاتهم؟

المبحث الثالث
معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

الطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى :﴿ألم

اللغة: ....

الشرح: يشير رحمه الله إلى أن كلمة الطاغوت عبارة عن أنواع معينة، فهي عامة، وليست خاصة بشخص معين أو ذات معينة، بل كل ما عبد من دون الله أو أُتبع من دون الله، أو أطيع في معصية الله ورسوله ورضي بتلك العبادة وبهذه الطاعة والأتباع فهو طاغوت، وهؤلاء الطواغيت المتصفون بهذا الوصف كثيرون، لأن هذا الوصف كما قلنا عام لا ينحصر في ذات معينة، ولكن أعظم هذه الأنواع خمسة هي رؤوس الطاغوت.

الأول: الشيطان فإنه أعظم من دعا إلى عبادة غير الله، وهو راض بأن يعبد من دون الله تعالى، بل إنه يدعوا إلى ذلك، والدليل على أنه قد عبد من دون الله قول الله تعالى :﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[1] فصرح القرآن بأنهم عبدوا الشيطان وذلك بطاعتهم له من دون الله تعالى، واتباعهم له

---

(١) سورة يس الآية (٦٠).

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى :﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

اللغة: (الجائر) الظالم.

الشرح: والرأس الثاني من رؤوس الطاغوت الخمسة، هو الحاكم الظالم الذي يغير ويبدل في حكم الله تعالى، كما فعلت اليهود، وذلك إما انتقاصاً من حكم الله تعالى، أو تفضيلاً لغيره عليه، استحواذاً من الشيطان على ذلك الحاكم المبدل المغير، ومما يدل على هذا النوع الآية الكريمة المذكورة :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[١] فوصف دعواهم الإيمان بأنها زعم، تكذيباً من الله تعالى لهم في ذلك، لأنهم أرادوا التحاكم إلى غير الله، إعراضاً منهم عن حكم الله تعالى، وذلك بعد أن أمروا بالكفر بالطاغوت عدم التحاكم إليه، ولكم الشيطان استحوذ عليهم فأضلهم عن صراط الله.

فهذا النوع الثاني من رؤوس الطاغوت، كل حاكم ظالم مبدل لحكم الله تعالى مستبدل به غيره.

الثالث: والنوع الثالث من رؤوس الطاغوت، هو الذي يحكم بغير ما

---

(١) سورة النساء الآية (٦٠).

أنزل الله تعالى، كما قال عز وجل :﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1] وسواء كان قاضياً =

(١) سورة المائدة الآية (٤٤).

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ وقال تعالى :﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

اللغة: (لا يظهر) لا يطلع (مبين) بين واضح.

الشرح: = أو ملكاً أو رئيساً أو غيره، فكل من حكم بغير ما أنزل الله تعالى عاملاً عالماً فهو طاغوت، وإن زعم ما زعم، فإن الله تعالى قد كفرّه، غير أن بعض السلف لم يكفر من حكم بغير ما أنزل الله في قضية مثلاً لقرابة أو رشوة ونحوها، مع أنه يحكم أصلاً بما أنزل الله ويقضي به في الناس، فهو لم يحكم بغيره مطلقاً.

الرابع: أي النوع الرابع من رؤوس الطاغوت الخمسة من ادعى علم الغيب من دون الله تعالى فإن الله تعالى قد انفرد بعلم الغيب عن خلقه، فقال عز وجل :﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1] وقال تعالى :﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2] فالله تعالى منفرد بعلم الغيب، لا يطلع عليه احد بغير إذنه تعالى، ولا يعلم الخلق شيئاً من علم الغيب ما يكون في غدٍ، فمن ادعى علم الغيب لنفسه أو لغيره كفر بالله تعالى وأشرك به فيما لا ينبغي إلا له تعالى وحده.

---

(١) سورة الجن الآيتان (٢٦:٢٧).

(٢) سورة الأنعام الآية (٥٩).

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى :﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾.

الخامس: أي الرأس الخامس والأخير من رؤوس الطاغوت، من عبد من دون الله تعالى وهو راضٍ بذلك، وهذا يجمع تحته أنواعاً كثيرة، والدليل على ذلك قوله تعالى :﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فهذا حكم من الله تعالى على ذلك الطاغوت الذي دعا لعبادة نفسه، ونصّب نفسه إلهاً من دون الله تعالى، كما فعل فرعون عليه لعنة الله، وكما فعل غيره.

فهذه الرءوس الخمسة التي ذكرت هي أهم رءوس أنواع الطاغوت، وله أنواع أخرى غير ما ذكر.

الخلاصة:

١ - الطاغوت هو كل ما عبد وأطيع من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

٢ - أنواع الطاغوت كثيرة، وأهمها الأنواع الخمسة المذكورة.

المناقشة:

س١: هل كلمة الطاغوت معناها عام أم خاص؟

س٢: ما هي أهم رءوس الطاغوت؟

س٣: ما هو الدليل على أن الشيطان طاغوت؟

س٤: ما حكم من يدعي الغيب؟ اذكر الدليل.

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٩).

المبحث الرابع
الكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ الرشددين محمد ﷺ، والغيّ دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة ألا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لاشريك له.

اللغة: (استمسك) بالغ في التمسك (انفصام) انفصال (الغي) الزيغ والضلال.

الشرح: والإيمان بالله تعالى لا يكون إلا بعد الكفر بالطاغوت أولاً، إذ لا يجتمع الإيمان والشرك بالله في قلب واحد، فإنهما نقيضان، فيخلع عبادة غير الله أولاً، ثم يثبت العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فبدأ بالكفر بالطاغوت أولاً ثم الإيمان بالله بياناً وتأكيداً لما ذكر، والرشد هو دين محمد ﷺ، دين التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة، وإخلاص الدين له، والغي هو دين ابي جهل، الإشراك بالله تعالى وصرف العبادة إلى غيره، واتخاذ الأنداد من دونه، والعروة الوثقى هي شهادة، ألا إله إلا الله، فهي وإثبات، (لا إله) تنفي استحقاق أي نوع من أنواع العبودية

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

عن غير الله تعالى، فإنهم لا يستحقونها وليس لهم من الملك شيء، (إلا الله) إثبات لأن الله تعالى مستحق لجميع أنواع العبادة على اختلافها فإنه المنفرد بالخلق والملك والتصرف فكان مستحقاً لكل أنواع العبادة دون غيره.

الخلاصة:

١ - الكفر بالطاغوت شرط لصحة الإيمان.

٢ - الرشد هو التوحيد والغي هو الشرك.

٣ - لا إله إلا الله متضمنة للنفي والإثبات.

المناقشة:

س١: أيهما يسبق أولًا: الكفر بالطاغوت أم الإيمان بالله؟

س٢: اذكر معنى ما يأتي (الرشد - الغي - العروة الوثقى)؟

س٣: ما معنى القول بأن (لا إله إلا الله) نفي وإثبات؟



الفصل الرابع:

تفسير كلمة التوحيد
لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي



مقدمة المؤلف
سبب تأليف الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لوليه، والصلاة والسلام على نبيه
سئل الشيخ محمد رحمه الله تعالى عن معنى لا إله إلا الله، فأجاب بقوله:

اللغة: (الحمد) الثناء على الجميل الإختياري (الصلاة) لغة الدعاء.

الشرح: بدأ الشيخ رحمه الله بالبسملة تبركاً باسم الله تعالى، وجرياً على عادة أهل العلم في البدء باسم الله تعالى في كل عمل، ثم ثنى بالحمد لله تعالى فقال: (الحمد لوليه) أي الحمد لصاحب النعمة ومُوليها، والمنعم بها المستحق لأن يحمد عليها، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] فهو المستحق للحمد ظاهراً وباطناً، لنعمه على خَلقه، ولصفاته البالغة غاية الجمال والكمال، وأفعاله الدالة على كمال الحكمة والعلم، ثم أتبع الحمد بذكر الصلاة والسلام على نبي الله ﷺ فقال ﴿**والصلاة والسلام على نبيه**﴾ أي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2] ثم عطف على ذلك بذكر السبب الباعث على وضع هذه الرسالة، فقد سئل الشيخ رحمه الله تعالى من قبل بعض أهل زمانه عن معنى كلمة التوحيد، كلمة لا إله إلا الله فأجاب رحمه الله تعالى ورضي عنه على هذا السؤال بقوله:

---

(١) الفاتحة (٢).
(٢) الأحزاب (٥٦).

المبحث الأول
معنى كلمة التوحيد ومنزلتها

اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها،

اللغة: (الفارقة) الفاصلة (الوثقى) الوثيقة (عقبه) ذريته.

الشرح: بدأ الشيخ رحمه الله تعالى بذكر منزلة هذه الكلمة، فذكر أنها الفارقة بين الكفر والإسلام وذلك أنا أُمِرْنا بالكف عن المشرك إذا قالها حتى يتبين لنا حقيقة أمره، وقد قاتل النبي ﷺ الناس لأجل هذه الكلمة، وظل طيلة دعوته يدعوا الناس إليها وهي كلمة التقوى كما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[1] قالوا: هي كلمة لا إله إلا الله.

وهي العروة الوثقى كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[2] وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[3]، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4]، ثم بين رحمه الله أنه ليس المراد من تكليف العباد بها النطق بها فقط مع الجهل بمعناها، أو ترك العمل بمقتضاها، وبين أن

---

(١) سورة الفتح الآية (٢) البقرة (٢٥٦)
(٣) لقمان (٢٢) (٤) الزخرف (٢٨)

فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً»

اللغة: (الدرك) المنزل في النار (بغض) كراهية (مخلصاً) صادقاً.

الشرح: المنافقين يقولونها - لا إله إلا الله - وعلى الرغم من ذلك فإنهم تحت الكفار في النار، في أسفل دركاتها وأخس طبقاتها، كما قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] فهم في أحط درجاتها وأسفلها، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يصلون مع النبي ﷺ، ويتصدقون، وهكذا هم في كل زمان ومكان، يظهرون الإسلام، ويتظاهرون بأفعال المسلمين، وهم في حقيقة أمرهم كفار مشركون، والمطلوب أن يقولها المرء بلسانه، مع معرفة معناها بقلبه واعتقاد ما دلت عليه من إفراد الله بالوحدانية والعبودية، ومحبة هذه الكلمة ومحبة أهلها لأنهم أهل التوحيد والإيمان، وبغض من خالفها من أهل الشرك والفسوق والعصيان ومعاداتهم، كل بحسب مخالفته لها، يبغض ويعادي بقدر ما خالفها، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ....﴾[2]، وقد بين النبي ﷺ أنه ليس المقصود مجرد قولها فقط باللسان قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً»[3] فلم يقتصر على مجرد القول، بل اشترط الإخلاص

---

(١) النساء (١٤٥).

(٢) المجادلة (٢٢)

(٣) رواه الترمذي (٣٩٥٠) عن أبي هريرة. وأحمد (٥/ ٢٣٦) والحميدي (٣٦٩) عن معاذ بن جبل وهو حديث حسن.

وفي رواية «خالصاً من قلبه» وفي رواية «صادقاً من قلبه» وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة، فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المرسلين حتى محمد ﷺ، ومن الملائكة حتى جبريل فضلاص عن غيرهما من الأنبياء الصالحين، وإثباتها لله عز وجل.

اللغة: (الإلهية) كونه معبوداً أو مستحقاً للعبودية.

الشرح: في قول هذه الكلمة، وفي رواية أنه قال: **﴿خالصاً من قلبه﴾**[١] فاشترط الإخلاص من القلب وهذا يتضمن تمام العلم بمعناها، وكذلك قوله: **﴿صادقاً من قلبه﴾**[٢]، وفي قوله ﷺ: «من قال ألا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله»[٣] فلم يقف عند حد القول فقط إنما اشترط الكفر بما يعبد من دون الله، وخلع الأنداد والنظراء والتبرؤ منهم، فكل هذا من تمام الصدق في قول هذه الكلمة، وكثير من هذه الأحاديث تدل على جهل الناس بحقيقة معناها، حيث ظنوا أن المطلوب قولها فقط والحق أنها نفي وإثبات: فهي نفي لاستحقاق العبودية عما سوى الله تعالى، من المرسلين ولا حتى إمامهم وخيرهم محمد ﷺ، ومن الملائكة ولا حتى كبيرهم جبريل عليه لاسلام وهذا نفي للألوهية عنهم، ومن باب أولى عن غيرهم أيضاً من الملائكة والأنبياء، والصالحين وإثبات استحقاق هذه العبودية لله تعالى دون خلقه، لأنه تعالى هو الخالق الرازق المدبر المتصرف، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[٤]

---

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث ح(٩٩) وفي الرقاق ح(٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري كتاب العلم ح(١٢٨) وأحمد (٤/ ٤٠٢-٤١١)، (٥/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ح(٢٣) من طريق أبي مالك الأشجعي عن أبيه.

(٤) الحج (٦٢).

الخلاصة:

١ - كلمة لا إله إلا الله هي الفارقة بين الإسلام والكفر، وهي العروة الوثقى.

٢ - لا يكفي التلفظ بها دون فهم معناها، ودون العمل بمقتضاها.

٣ - كلمة لا إله إلا الله نفي للعبودية عما سوى الله تعالى، وإثباتها لله وحده.

المناقشة:

س١: ما هي العروة الوثقى؟ وما هي كلمة التقوى؟

س٢: لماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار؟

س٣: ما معنى القول بأن لا إله إلا الله نفي وإثبات؟

المبحث الثاني
معنى الألوهية الثابتة لله وحده

إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التي اثبتها الله تعالى لنفسه، ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل، فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية. والإله معناه الولي الذي فيه السر وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ، وتسميه العامة: السيد، وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويربوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله.

اللغة: (منزلة) مكانة (يلتجئ) يحتمي ويعوذ (يرجو) يؤمل.

الشرح: هنا يبين الشيخ رحمه الله تعالى معنى الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه، ونفاها عن جميع خلقه حتى عن رسوله المصطفى محمد، وعن جبريل المختار من الملائكة الأصفياء، فهم لا يملكون منها مثقال حبة من خردل، إذ ليس لهم من الأمر شيء ولا مثقال حبة من خردل وهذه الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه هي ما يسميه العامة في زمن الشيخ وبعده: السر والولاية فالإله عندهم هو الولي الذي فيه السر، وهذا السر هو روح الإله أو منزلة أو منزلة خاصة عند الله، وقد يسموه هذا الولي الفقير أو الشيخ، أو السيد، وغير ذلك، وهم يظنون أن الله تعالى جعل لبعض الخلق عنده منزلة ومكانة بحيث إنهم يقدرون على النفع والضر - بزعمهم - فيجوز الالتجاء إليهم ودعاؤهم - عند هؤلاء الجهال - ويظنون أن الله يرضى منهم بذلك، وأنهم يجوز لهم اتخاذهم وسائط من دون الله تعالى وكل هذه اعتقادات شركية تنقل عن الملة الإسلامية، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم الذين يسميهم الأولون الآلهة والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله إبطال للوسائط، وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم وأباح أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده. كما قال تعالى: ﴿قل من يرزقكم

اللغة: (يزعم) يدعي (مقرين) معترفين.

الشرح: فهؤلاء الذين يسميهم هؤلاء المبتدعة المشركون في زمان الشيخ وبعده، يسمونهم الوسائط، هم أنفسهم الذين كان المشركون الأولون يعبدونهم ويسمونهم آلهة، فأما شهادة ألا إله إلا الله فهي إبطال لهذه الوسائط لأن فيها إفراداً لله تعالى بكل أنواع العبودية وصرف هذه العبادات له وحده دون من سواه، والذي يوضح هذا بجلاء أمران:

الأول: أن يعرف المرء أن هؤلاء الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم، لم يكونوا مشركين في أمر الربوبية بل كانوا موحدين في ذلك، مقرين بأن الله عز وجل هو المنفرد وحده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، والتدبير والتصريف، وغير ذلك، فليس لأحد غيره شيء من الملك أو الأمر، ومما يدل على أنهم كانوا مقرين بذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ

من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾ وهذه مسألة عظيمة جليلة، مهمة وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شاهدون بهذا كله ومقرون به، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضاً يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل. ولكن الأمر الثاني هو الذي كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم، وهو: أنهم لم

اللغة: (جليلة) عظيمة (شاهدون) مقرون معترفون.

الشرح: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ...﴾[1] الآية. فهم مقرون بأن كل هذا ليس إلا من عند الله فقط، وهو القادر على ذلك كله، الفاعل له دون غيره، وهذا أمر في غاية الأهمية، وهو أن هؤلاء الكفار قد أقروا بكل أفعال الربوبية وخصائصها إقراراً حقيقياً، ورغم ذلك لم يصيروا مسلمين بهذا الإقرار ولا حرمت دماؤهم ولا أموالهم به، بل قاتلهم ﷺ واستباح ذلك منهم، كما هو متواتر عنه ﷺ، وكانوا كذلك يتصدقون، ويحجون البيت، ويعتمرون، ويتعبدون لله، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله تعالى لعلمهم أنه حرمها، ولأنهم كانوا يعرفون أن الله تعالى شديد العقاب، ويخافونه، ويحذرون معاجلته لهم بالعقوبة، ولكن رغم ذلك لم يعصم ذلك دماءهم وأموالهم، بل الأمر الثاني هو الذي كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم ونساءهم، وهذا الأمر الثاني هو أن هؤلاء الكفار لم يشهدوا

---

(١) سورة يونس الآية (٣١).

يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية هو أن لا يدعي ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقر كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، واشباه ذلك. وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسوله الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين - مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من الأولياء -

---

اللغة: ....

الشرح: ولم يقروا لله تعالى بتوحيد الألوهية، وهو استحقاق العبادة دون غيره، ومن هذا التوحيد أن لا يدعي غير الله كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾(١) ولا يرجى غير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾(٢) ولا يستغاث بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو، كما قال عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ....﴾(٣). وكذلك لا يذبح لغيره، كما قال عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾(٤) ولا ينذر لغيره، فإن النذر عبادة لا ينبغي إلا لله تعالى، فلا يصرف شيء من هذه العبادات لغيره عز وجل، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل وكل من صرف شيئاً ولو يسيراً من هذه العبادات فدعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو رجاه فقد كفر وأشرك بالله تعالى. ومما يوضح ذلك أيضاً أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا يدعون الصالحين من دون الله، كالملائكة لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ

---

(١) سورة مريم الآية (٤٨) (٢) سورة الإسراء الآية (٥٧)
(٣) سورة الأنفال الآية (٩) (٤) سورة الكوثر الآية (٢)

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا . . . ﴾[1] منهم من عبد المسيح وأمه أو العزير كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾[2]

(١) سورة سبأ الآية (٤٠)

(٢) سورة التوبة الآية (٣٠)

فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر. إذا عرفت هذا عرفت معنى «لا إله إلا الله» وعرفت أن من نخا نبياً أو ملكاً أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

اللغة: (نخا) دعا ورجا (ندبه) استصرخه.

الشرح: فهؤلاء المشركون كفروا بذلك - أي بدعائهم غير الله تعالى - مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر، وذلك كما سبق بيانه، فحينئذ يتبين معنى (لا إله إلا الله) ويتضح أن من دعا غير الله تعالى ورجاه واستغاث به واستصرخه فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر وخرج من الإسلام، وهذا هو بعينه نوع الكفر الذي لأجله قاتلهم النبي ﷺ.

الخلاصة:

١ - أهل الشرك في هذا الزمان يتخذون وسائط يسبقون عليها صفات الألوهية ويصرفون لها العبادة من دون الله.

٢ - الكفار الأولون أقروا لله تعالى بتوحيد الربوبية.

٣ - إقرارهم بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام بسبب شركهم في الألوهية.

٤ - قاتلهم النبي ﷺ واستباحهم لأجل إشراكهم في مسألة الألوهية.

المناقشة:

س١: ماذا يقصد العامة في زمن الشيخ بكلمة السيد، الشيخ، الفقير؟

س٢: هل أقر الأولون بتوحيد الربوبية؟ ولماذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام؟

س٣: لماذا قاتلهم النبي ﷺ واستباحهم؟

المبحث الثالث
(شبهة للمشركين وردها)

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبرو لكن هؤلاء الصالحون مقربون ونحن ندعوهم وننذر لهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر. فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء، يريدون ذلك، كما قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ فإذا تأملت هذا تأملًا جيداً وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية - وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير - وهم ينخون

اللغة: (الوجاهة) الجاه والمنزلة والمكانة.

الشرح: يورد المشركون شبهة مفادها أنهم مقرون بأمر الربوبية تماماً، غير أنهم لعلمهم بقرب هؤلاء الصالحين من الله تعالى، فقد دعوهم ونذروا لهم واستغاثوا بهم ليقربوهم إلى الله تعالى، ويشفعوا لهم عنده، وهم مقرون مع ذلك بالربوبية، ويجاب عليهم بأن هذا هو بعينه كلام أبي جهل وأمثاله فقد أقروا لله تعالى بأمر الربوبية تماماً، لكنهم اتخذوا وسائط من دون الله بدعوى أنها تقربهم إليه وتشفع لهم عنده، كما قال تعالى حاكياً ذلك عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[1] وقال أيضاً:

---

(١) سورة الزمر الآية (٣)

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1] فهذا كان حقيقة شركهم بالله تعالى، فإذا تبين أن هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأمر الربوبية، لكنهم دعوا ورجوا غير الله تعالى، مثل عيسى

(١) سورة يونس (١٨)

عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ويشفعون لهم عنده، وعرفت أن من الكفار - خصوصاً النصارى منهم - من يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلاً في صومعة عن الناس، وهو مع هذا كافر عدو لله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء يدعوه أو يذبح له أو ينذر له - تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك محمد ﷺ، وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

اللغة: ....

الشرح: وغيره من الملائكة والأنبياء يزعم أنهم يشفعون لهم عند الله تعالى ويقربونهم إليه زلفى، ولو نظرت إلى حال الكفار لرأيت طائفة منهم خصوصاً من النصارى من يعبدون الله ليلاً ونهاراً ويستقلون من الدنيا زهداً فيها ويتصدقون بما ينالون منها معزلين عن الناس في صومعة، ومع كل هذه الخصال فالواحد فيها كافر عدو لله تعالى مخلد في النار لأنه اتخذ من دون الله إلهاً، كما قال تعالى على لسان عيسى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1]. حينئذ يظهر لك صفة الإسلام الذي دعا إليه النبي ﷺ، واتضح أن كثيراً من الناس بمعزل عنه، لصرفهم العبادة لغير الله تعالى، وتبين حينئذ معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»[2] فقد استغرب الكفار قديماً عبادة إله واحد، واليوم يتكرر نفس الشيء.

---

(١) سورة المائدة الآية (٧٢)

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥) وابن ماجه (٣٩٨٦)

الخلاصة:

١ - الكفار أقروا بتوحيد الربوبية، لكنهم اتخذوا وسائط للشفاعة والقربة لله فكفروا بذلك.

٢ - العمل الصالح مهما بلغ لا ينفع صاحبه المشرك.

المناقشة:

١ - هل ينتفع الكافر بعمله الصالح؟

٢ - لماذا حكمنا بكفر الكافرين مع إقرارهم بالربوبية.

الخاتمة

فالله الله ياإخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأسه ورأسه شهادة ألا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم، أو قال ما عليّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله تعالى بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله يا إخواني تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئاً. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

اللغة: (أس) أصل ولب.

الشرح: يناشد المؤلف إخوانه بالله تعالى بالتمسك بأصل دينهم وأساسه ولبه والشهادة التي توجب عليهم إخلاص الدين لله تعالى، ويدعوهم إلى تعلم معناها وحبها وحب أهلها فإن ذلك من الواجب عليهم، ويدعوهم إلى الكفر بأعدائها وبغضهم ومعاداتهم، وبغض كل من والاهم أو لم يكفرهم أو لم يثبت وجوب الكفر بهم وبغضهم، فإن الله قد افترض ذلك فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1] ثم يدعوهم إلى التمسك بكل ذلك حتى يلقوا الله تعالى مؤمنين به موحدين، ويدعو لهم بحسن الختام على الإسلام ودرجات الصالحين

---

(١) المجادلة (٢٢)

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله تعالى في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾ فقد ذكر الله تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحداً منهم ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا، وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة - إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وإدريس الذي يقال له

اللغة: (أطم) أدهى وأعظم.

الشرح: يختم رحمه الله كلامه بما يوضح أن الكفار في زمانه أعظم شركاً من متقدمي المشركين، فإن الأقدمين كانوا يشركون في السراء ويوحدون في الضراء كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾[1] أما مشركو زماننا فإنهم يشركون في كل حال، في السراء وفي الضراء فإذا أصابهم الضر قاموا - ومنهم من ينسب إلى العلم والزهد - فاستغاثوا بغير الله من الصالحين كمعروف وعبد القادر أو من هو أفضل منهم كالزبير وزيد بن الخطاب، أو

---

(١) الإسراء الآية (٦٧)

الأشقر ويوسف وأمثالهم، والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين آمين.

من هو أفضل منهم كالنبي ﷺ بل والأدهى أن منهم من يقوم فيستغيث بالطواغيت والكفرة مثل شمسان وإدريس الذي يقال له الأشقر ويوسف وغيرهم، فهل هناك ضلال أشد من هذا. ثم ختم رحمه الله كلامه بحمد الله والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه.

الفصل الخامس

كشف الشبهات للإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي الحنبلي مع شرحه الميسر

بقلم
د. محمد بن عبدالرحمن الخميس



المبحث الأول
معنى التوحيد وخطأ المشركين في فهمه

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به الى عباده، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله الى قومه لما غلوا(١) في الصالحين، وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً وآخر الرسل محمد ﷺ وهو كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى الناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون نريد منهم

اللغة: (غلوا) تجاوزوا الحد وبالغوافي التعظيم (صور) أي تماثيل.

الشرح: إن التوحيد - توحيد الألوهية - وهو افراد الله تعالى بالعبادة، وصرفها له دون سواه، أياً كان نوعها هو دين الرسل جميعاً الذي أرسلهم الله به، كما قال تعالى :﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ

---

(١) أقول هذا جواب شبهة القبورية وهي أنهم يقولون: إن المشركين كانوا يعبدون الأحجار والأشجار والأصنام أما نحن فندعو الأنبياء والأولياء ونستغيث بهم، فالأحجار والأشجار لا كرامة لها عند الله وأما الأولياء والأنبياء فلهم منزلة عند الله تعالى، والله لا يرد شفاعتهم فينا فلا يصح قياس موحد يستغيث بالأولياء على مشرك يعبد الأحجار إلى آخر كلامهم. انظر البراهين للقضاعي ٣٨٧ - ٣٩٠، والتوسل لابن مرزوق ٣٧، ٩٢ والبراءة له ١٠٦ - ٢٥٦، وحقيقة التوسل لموسى محمد علي ١٣٧ - ١٤٥، وتبديد الظلام للكوثري ٢٨، وصلح الإخوان لابن جرجيس ١٣٦ - ١٤٤، وسعادة الدارين للسهنودي ٣٠٤/١، ٣٠٧، وكشف الارتياب للعاملي ٢٩٣ - ٢٩٦، وكشف النقاب للنقوى ٤٥ - ٥٠، وفصل الخطاب للقباني ١٢، ١٨، ٧٢، ٩١-٩٨، وفصل الخطاب لعبد الرؤوف ٢٧، وشواهد الحق للنبهاني ٢٥١ - ١٥٢ والدار السنيه لدحلان ٣٨، والبصائر للداجوى ١٦٧ - ١٦٩، وشفاء السقام للسبكي ١٤٦.

إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[١] وأول هؤلاء الرسل نوح، لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٢].

وقد أرسل إلى قومه لما غلوا في الصالحين منهم فبنوا على قبورهم، ثم عملوا لهم تماثيل ولما طال عليهم الأمد عبدوهم، كما أخبر ابن عباس وغيره، وآخر الرسل محمد ﷺ كما قال تعالى في حقه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٣] وهو الذي كسر تماثيل وصور هؤلاء يوم الفتح لما دخل الكعبة ودفعها بعود في يده فسقطت.

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٥).
(٢) سورة النساء الآية (١٦٣)
(٣) سورة الأحزاب الآية (٤٠)

التقرب الى الله، ونريد منهم شفاعتهم عنده، مثل: الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين؛ فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام -، ويُخبرهم: أن هذا التقرُّب والاعتقاد محضُ حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لَملك مقرَّب، ولا لنبي مُرسَل، فضلًا عن الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يُميت إلا هو، ولا يُدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

اللغة: (محض) خالص (قهره) غلبته

الشرح: وقد كان هؤلاء المشركون يحجون، ويتصدقون ويتعبدون بعبادات مختلفة ولكنهم جعلوا بينهم وبين الله وسائط يقربونهم إليه - بزعمهم - كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1][2] فمنهم من عبد الملائكة، ومنهم من عبد عيسى بن مريم وأمه، ومنهم من عبد أصناماً من الصلحين فأرسل الله إليهم محمدا ﷺ مجدداً لملة ابراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[3]

---

(١) هذا جواب لشبهة القبورية وهي: أن المشركين كانوا يشركون ألهتهم في ربوبية الله وخالقيته ومالكيته بخلافنا نحن فإننا لا نعتقد من الأولياء التصرف والقدرة الذاتية والربوبية والخالقية إلى آخر هذيانهم.
انظر براهين القضاعي ٣٨١، ٣٧٨ - ٣٩٠، ٤٣٩، والفرقان ١١٣-١١٤ والتوسل لابن مرزوق ٢٠، ٣٠، ٣١، ٣٧ والبراءة له ٨٩، ٩٩، ١٠٠ العقيل للسبكي مع تبديد الظلام للكوثري ٢٧-٢٨، والبراهين للطباطبائي ٣٣٣-٣٣٤ والكشف للعاملي ١٠٦، ٢٩٣-١٩٦ وسعادة الدارين، للسهنودي ٣٠٤/١ - ٣٠٧، وردود النوري ٢٤٣ والمفاهيم للمالكي ٢٦ - ٢٧.

(٢) سورة الزمر الآية (٣)

(٣) سورة النساء الآية (١٢٥)

وبين لهم أن التقرب محض حق الله لا يصلح لغيره ﴿ لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[١] **وأن اتخاذ وسائط معه إشراك في عبادته سبحانه، وقد كان هؤلاء المشركون مقرين بانفراده تعالى بالخلق والملك والتدبير** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٢] و ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ... فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[٣]. فقد كانوا مقرين بكل أمور الربوبية، غير أنهم اشركوا مع الله في ألوهيته، فعبدوا غيره مع الله في ألوهيته، فعبدوا غيره.

---

(١) سورة الزمر الآية (٤٤)

(٢) سورة لقمان الآية (٢٥)

(٣) سورة المؤمنون الآيات (٨٤:٨٩)

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله - تعالى -:﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣١].

وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤ - ٨٩] وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)، كما كانوا يدعون الله - سبحانه - ليلاً ونهاراً.

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله؛ ليشفعوا . . إلخ،أو يدعو رجلاً صالحاً مثل :اللات،أو نبياًمثل :عيسى.

اللغة: (جحدوه) أنكروه

الشرح: من هذه المعبودات التي لا تستحق أن تعبد لأنها ليس لها من الأمر شيء والآيات التي ذكرها المؤلف رحمه الله صريحه وواضحة في تقرير ماذكره من إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، ولكن ذلك لم يدخلهم في التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ ، والنبيون من قبله، وهو توحيد العبادة أي بافراد الله عز وجل بكل أنواع العبادة، لا يشرك معه فيها

أحد من خلقه فهؤلاء كانوا يدعون الله ويدعون معه غيره من الأنبياء والصالحين، يزعم أنهم يقربونهم من الله تعالى، أو أنهم يشفعون لهم عنده.

الخلاصة:

١- كان المشركون مقرين لله تعالى بأمر الربوبية.

٢- كان شرك الأولين بسبب اتخاذهم وسائط من دون الله للقربه والشفاعه.

٣- الإقرار بالربوبية لا يكفي للحكم بالإسلام.

المناقشة:

س١ - هل كان المشركون الأولون يجعلون لله شركاً في أمر الربوبية؟ ماالدليل؟

س٢ - لماذا اتخذوا وسائط من دون الله تعالى؟

س٣ - هل يكفي الإقرار بالربوبية ليصبح المرء مسلماً؟

المبحث الثاني
حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل

وعرفت أن رسول الله قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال - تعالى -: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

وقال: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٤].

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر لله، والذبح لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك؛ هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

اللغة: (أحل) أباح

الشرح: والنبي ﷺ قاتلهم رغم إقرارهم بالربوبية، قاتلهم لصرفهم محض حق الله في العبودية الى غيره، ودعاهم الى اخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[2] فقد قاتلهم ليصرفوا العبادة لله وحده من دعاء ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[3] **ونذر كما قال تعالى**

---

(١) سورة الزمر الآية (١١)

(٢) سورة البينة الآية (٥)

(٣) سورة الجن الآية (١٨)

:﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾[١]، والذبح كما قال تعالى :﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[٢] والاستغاثة كما قال تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[٣]، وهكذا جميع أنواع العبادة لاينبغي أن تكون إلا لله وحده، وهكذا فإقرارهم بالربوبية لم يدخلهم الإسلام، وصرفهم شيئاً من العبادة لغيره،هو الذي كان سبباً في كفرهم، وإباحة دمائهم وأموالهم كما قال تعالى :﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الحج الآية (٢٩)

(٢) سورة الكوثر الآية (٢)

(٣) سورة الأنفال الآية (٩)

(٤) سورة التوبة الآية (٢٩)

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبي عن الإقرار به المشركون.

. . . وهذا التوحيد هو معنى قولك: (لا إله إلا الله).

فإن الإله - عندهم - هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جنّياً.

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده - كما قدمت له -، وإنما يعنون بالإله ما يعن المشركون في زماننا بلفظ (السيد).

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي (لا إله إلا الله).

والمراد من هذه الكلمة: معناه، لا مجرد لفظها[1].

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد الله - تعالى - بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [سورة ص، الآية: ٥].

اللغة: (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله.

الشرح: إن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ورفضه المشركون، وهو معنى قولنا (لا إله إلا الله) فإن معناها لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى،

---

(١) هذا جواب عن شبهة للقبورية: أن الوهابية يكفوون من قال: (لا إله إلا الله). وقصدهم بذلك: أن القبورية الذين يستغيثون بالأولياء وينذرون لهم ويهتفون بأسمائهم لا حرج عليهم لأنهم يقولون (لا إله إلا الله).
انظر «التوسل» لابن مرزوق (٣٦ - ٣٧) و«البراءة» له (١٠٥ - ١٠٦). فرد عليهم الإمام بأن مجرد التلفظ لا ينفعهم بدون فهم معناها.

وذلك لأن هناك آلهة تعبد من دونه، ولكنها عبدت بالباطل لأنها لا تملك شيئا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾[1].

والكفار المتقدمون قد عرفوا أن الإله هو المعبود، ولم يعتقدوا أبداً أن الإله هو الخالق، بل هم قد عرفوا أن هذا غير هذا، أما المشركون في زماننا فإنهم لجهلهم يظنون أن الإله معناه الخالق، ويرون لذلك أن كلمة لا إله إلا الله معناها لا خالق إلا الله، فظنوا أن المطلوب مجرد النطق بكلمة التوحيد، لكنهم لم يفهموا معناها الحق، أما المشركون المتقدمون فإنهم قد فهموا معنى هذه الكلمة، وأن المراد منها افراده تعالى بالعبادة والتعلق، ولهذا تعجبوا عندما عرفوا دعوة النبي ﷺ وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾[2].

(١) سورة الحج الآية (٦٢)
(٢) سورة ص الآية (٥)

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله.

فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله).

اللغة: الحاذق: الذكي الفطن

الشرح: ولما تبين لك أن الجهال الكفار يعرفون حقيقة معنى لا إله إلا الله، وأنها تعني إخلاص الدين لله تعالى، وصرف العبادة له وحده، هاهنا ينبغي لك العجب من حال أناس يدعون الإسلام، وهم لا يعرفون شيئاً عن حقيقة معنى لا إله إلا الله، فأصبح جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله، فهو يرى أن المقصود من كلمة لا إله إلا الله مجرد النطق باللسان دون أن يعتقد القلب شيئاً من معانيها، بل أن الذكي منهم والفطن، يظن أن لا إله إلا الله تفيد الربوبية وأن معناها إثبات انفراد الله تعالى بأعمال الربوبية من خلق ورزق، وإحياء وإماته، ونحو ذلك، ولا علاقة لها بأمر الألوهية، فأي خير في مثل هذا الرجل، الذي يدعي الإسلام، في حين أن جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

الخلاصة:

١- النبي ﷺ لم يفرق بين أصناف المشركين بل قاتلهم جميعا ليكون الدين لله.

٢- المشركون فهموا معنى الإله وأنه لا يعني الخالق المدبر، بل المرجو المعبود المتعلق.

٣- مشركو زماننا لا يفرقون بين الرب والإله.

٤- حقيقة التوحيد هي: معنى لا إله إلا الله. أي لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى.

المناقشة:

س١- هل خلط المشركون الأولون بين معنى الرب والإله كما فعل مشركو زماننا؟

س٢ - ما الفرق الذي تراه بين معنى الرب ومعنى الإله؟

س٣ - هل فرق النبي ﷺ بين أصناف المشركين هؤلاء؟

المبحث الثالث
(وجوب الحذر من الكفر وأهله)

إذا عرفت ماذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله، الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨].

وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد سواه.

وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا..

أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال - تعالى -: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٨].

وأفادك - أيضاً - الخوف العظيم؛ فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل.

اللغة: ....

الشرح: واذا تبين ماسبق، واستقر في نفسك أيها المسلم، واتضح لك معنى الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، كما قال عز وجل :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] وإذا تبين دين الرسل الذي لا يقبل من أحد غيره، واتضح ماعليه الناس من الجهل بالتوحيد، وبمعنى الشرك، فإن المسلم يستفيد من هذا فائدتين.

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، كما قال عز وجل :﴿ قُلْ بِفَضْلِ

---

(١) النساء الآية (٤٨)

ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾[١] وقد قيل إن المراد هنا الإيمان والقرآن، وقيل الإيمان والرسول، وقيل القرآن والرسول، وغير ذلك.

الثانية: الخوف الشديد من الشرك ولا سيما إذا عرف المرء أن الإنسان قد يكفر بمجرد كلمة تخرج من فمه، وقد يقوله وهو جاهل، فلا يكون الجهل عذراً له.

تنبيه: الصحيح أن الجهل عذر لعدم الحكم بالتكفير على المسلم الجاهل، وسيأتي من كلام المصنف في آخر الكتاب مايشير الى ذلك.

(١) سورة يونس الآية (٥٨)

... وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله - تعالى -[١] كما ظن المشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى - مع صلاحهم وعلمهم - أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، آية: ١٣٨].

فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

اللغة: (يعظم) يشتد (يخلصك) ينجيك

الشرح: وقد يقول الإنسان كلمة الكفر وهو لا يدري أنها كفر، بل يظن أنها تقربه من الله تعالى[١]، كما هو حال كثير من المشركين، ولا سيما اذا وفق الله الإنسان لفهم ماذكر في القرآن عن قوم موسى عليه السلام، فإنهم مع ماكانوا عليه من صلاح وعلم قالوا لموسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)[٢]. فهم قد اغتروا بما رأوا فتكلموا بكلمة شرك بظن أن ذلك يقربهم من الله تعالى فالواجب على الإنسان أن يخاف من هذا وأمثاله مما قد يوقعه في الشرك، وأن يحرص أشد الحرص على التمسك بالتوحيد والإخلاص والسنة، التي تخلصه من هذا الشرك، وتحميه من الوقوع فيه.

---

(١) هذا جواب عن شبهة القبورية وهي أن الكفار كانو يعتقدون في آلهتهم أنها شريكة مع الله في الخلق والرزق والتدبير والربوبية وأنها مستقلة بالنفع والضر. فأجاب الإمام أن الكفار لم يكونوا يعتقدون فيهم الشفاعة.

انظر البراهين للقضاعي (٣٧٨، ٣٨١ - ٣٩٠، ٤٣٩) و«الفرقان» له: (١٣٣ - ١١٤) و«التوسل» لابن مرزوق: (٢٠، ٣٠ - ٣١، ٣٧) و«البراءة» له (٨٩ - ١٠٠) و«السيف الصقيل» للسبكي: (٢٧ - ٢٨) و«سعادة الدارين» للسهنودي: (١/ ٣٠٤ - ٣٠٧) و«المفاهيم» للمالكي (٢٦ - ٢٧).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٣٨)

... إعلم أن الله - سبحانه - من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال - تعالى -: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة غافر، الآية: ٨٣].

اللغة: ....

الشرح: ومن حكمة الله تعالى أنه لم يرسل نبياً ولا رسولاً إلا وجعل له أعداء ممن لم يؤمنوا به، ولم يتبعوه، كما قال تعالى :﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ...﴾(١) وهؤلاء الأعداء لا يدخرون وسعا في محاربة الرسل وأتباعهم بكل وسيلة ممكنة، وهؤلاء الأعداء يمكن أن يكون لهم حجج وعلوم، يحتجون بها على الرسل واتباعهم، كما قال تعالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾(٢) فدلت الآية على أن الكفار قد يكون عندهم من العلوم الشيء الكثير، ومن علوم الدنيا وغيرها غير أنهم لم ينتفعوا بهذه العلوم ولم يستغلوها فيما يفيدهم في آخرتهم بل كانت الدنيا هي كل همهم، ولهذا فقد عادوا رسل الله وحاربوهم فكانوا من الخاسرين.

الخلاصة:

١- كثير من المسلمين يجهل حقيقة معنى لا إله إلا الله، بل الكفار أعلم بمعناها منه.

---

(١) سورة الأنعام (١١٢)

(٢) سورة غافر (٨٣)

٢- وجوب الفرح بفضل الله وبرحمته.

٣- وجوب الحذر من الشرك والحرص على ماينجى منه.

٤- ليس هناك نبي إلا وكان له أعداء، وقد تكون لهم علوم وحجج.

المناقشة:

س١: هل عرف الكفار حقيقة معنى لا إله إلا الله؟

س٢: ماهما الفائدتان اللتان أشار إليهما المؤلف؟

س٣: ماحكم من تكلم بكلمة الكفر جاهلاً بأنها كفر؟

س٤: هل وجد نبي ليس له أعداء؟

س٥: هل يكون عند أعداء الرسل حجج وعلوم أم لا؟

المبحث الرابع
وجوب تعلم مايدفع شبه المشركين

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك، تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك - عز وجل -: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧].

ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته؛ فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة النساء: الآية: ٧٦] والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال - تعالى -: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾. [سورة الصافات، الآية: ١٧٣].

اللغة: (إمامهم) زعيمهم وكبيرهم إبليس لعنه الله تعالى......

الشرح: إذا تبين لك ماسبق أيها المسلم فاعلم أن أعداء الله في كل زمان ومكان قاعدون على طريق الله تعالى يصدون عنه كل سالك الى الله، بما أوتوا من العلم والفصاحة، والحجة والبيان، يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله تعالى ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(١) والواجب على المسلم أن يتعلم من أمر دينه مايرد به شبه أولئك وحججهم، فإنه ان كان على بصيرة من أمر دينه، ظهر على أولئك الذين أقسم إمامهم

---

(١) سورة الصف الآية (٨)

وزعيمهم إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم في كل طريق، وأن يأتيهم من كل فج يريد صدهم عن سبيله تعالى كما قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ..﴾[١] الآيه ولكن من عقل كلام الله تعالى، وفهم حجته وبيانه، فإنه لاخوف عليه، فإن كيد الشيطان ضعيف كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٢] وليست هناك مقارنة بين المؤمن والمشرك فالمؤمن ولو كان عامياً يظهر على علماء الشرك لو كانوا كثرة، وجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، وإن لم يغلبوا بالسيف والسنان.

(١) سورة الأعراف الآية (١٦)
(٢) سورة النساء الآية (٧٦)

. . . وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح وقد مَنّ الله - تعالى - علينا بكتابه الذي جعله: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾. [سورة النحل، الآية: ٨٩].

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال - تعالى -: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣٣].

قال بعض المفسرين: «هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة».

اللغة: (مَنَّ) أنعم وجاد، (ينقضها) يبطلها ويظهر بطلانها.

الشرح: وليس هناك خوف على الموحد بفضل الله تعالى إلا إذا سلك الطريق الى الله تعالى دون سلاح من العلم والحجة، والكتاب والسنة، مما يعصمه من شبهات أهل الضلال والإضلال، وذلك لأن الله تعالى قد أنعم علينا - أمة الإسلام - بكتابه الكريم، الذي هو بيان لكل شيء، وفيه الهدى وهو رحمة وبشرى لمن أطاع الله تعالى ووحده، ومن فضل الله تعالى أنه ليست هناك حجة لأهل الباطل الى يوم القيامه، إلا وفي القرآن ماينقضها ويبطلها، أيا كانت هذه الحجة، وأيا كان صاحبها، وقد قال تعالى :﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1].

الخلاصة:

١- الشيطان وحزبه يلجؤون دائماً الى إلقاء الشبهات ليفتنوا المسلمين عن دينهم.

---

(١) سورة الفرقان الآية (٣٣)

٢- يجب على المسلم أن يتعلم من الحجج مايرد به على أهل الشرك والضلال.

المناقشة:

س١: إلام يلجأ المشركون عند كلامهم مع المسلمين؟

س٢: ماذا يجب على المسلم تجاه شبهات المشركين؟

المبحث الخامس
الجواب المجمل على أهل الباطل

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه؛ جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا. فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله - تعالى -: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتّبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم».

اللغة: (زيغ): ضلال وإنحراف وفتنة (إبتغاء) طلب وقصد.

الشرح: يذكر الشيخ رحمه الله تعالى أموراً مما أجاب الله بها الكفار والمشركين وهي ردود على حجج المشركين في زمان الشيخ رحمه الله تعالى.

ويبين رحمه الله أن جواب أهل الباطل يكون على نوعين: مجمل، ومفصل أما الجواب المجمل فهو قول الله تعالى :﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ..﴾ الى قوله تعالى :﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1] والنبي ﷺ قد حذر من هذا الصنف من الناس حين قال في حديثه الصحيح :﴿**إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**﴾[2] أي أن هؤلاء هم الذين ذكرهم الله في الآية السالفة ووسمهم بزيغ القلوب، فيجب على المؤمن أن يحذرهم أشد الحذر.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٧)

(٢) البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

. . . مثال ذلك: إذا قال بعض المشركين[١]: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢].

وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره؛ فجاوبه بقولك:

إن الله ذكر في كتابه: أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المُحكم ويتبعون المتشابه. .

وما ذكرت لك من أن الله - تعالى - ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨].

هذا أمر مُحكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وما ذكرت لي - أيها المشرك - من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله - عز وجل -.

اللغة: (جاه) مكانه ومنزله - (يقرون) يعترفون - (بيِّن) واضح - (اقطع) أجزم - (لا يتنافر) لا يتعارض بعضه مع بعض.

الشرح: ومن الأمثله على ذلك الجواب المجمل، مالو قال أحد المفتونين

---

(١) أن المشركين من قبورية هذه الأمة لهم عدة شبهات يتشبثون بها منها: استدلالهم بأن الأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن الشفاعة حق وأن الأنبياء لهم جاه عند الله تعالى، فهذا كلام حق ولكنهم يستدلون به على باطل. وهو: تبرير الإشراك بالله والاستغاثة بغير الله ويردون هذه الشبهة في كتبهم.
انظر البراهين للقضاعي (٣١٧ - ٣٩٠) والتوسل لابن مرزوق (٣٧ - ٩٢) والبراءة له (١٠٦ - ٢٥٦) وتبديد الظلام وشواهد الحق للنبهاني (١٥١ - ١٥٢) والدرر السنية لدحلان: (٣٨) وشفاء السقام للسبكي (١٤٦).

الواقعين في الشرك إن الأنبياء لهم جاه ومنزلة عندالله، وشفاعتهم حق الأولياء لهم جاه مستدلاً بقوله تعالى:﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(١)]، أو استدل بشيء من كلام النبي ﷺ لنصرة باطله فيما يزعم، وقد يكون السامع ليس من أهل العلم، ولا يفهم معنى كلام ذلك المشرك، ولا يعرف وجه الاستدلال به، حينئذ يمكنه أن يجيب مستدلاً بآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾[(٢)] ويبين أن الله تعالى قد كفَّر في كتابه كل من تعلق بالملائكة والأنبياء وغيرهم، وصرف إليهم شيئاً من العبادة، هؤلاء شفعاؤنا عند الله[(٣)] فهذا أمر محكم واضح، لا يحتمل أكثر من ظاهرة، وأما حجة ذلك المشرك فانها وان كان السامع لا يفهم وجهها، وكنه يجزم بأنها لاتخالف ظاهر الآية السابقة، ويجزم بأن كلام الله لايتناقض، بل يصدق بعضه بعضا، وان كلام الرسول ﷺ لا يخالف كلام الله تعالى أبداً، فلابد أن المقصود بحجة ذلك المشرك غير ماذهب هو إليه.

(١) سورة يونس الآية (٦٢)
(٢) سورة آل عمران الآية (٧)
(٣) سورة يونس الآية (١٨)

... وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفّقه الله - تعالى -، فلا تستهن به، فإنه كما قال - تعالى -:﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٥].

اللغة: (سديد) موفق

الشرح: فهذا الجواب المجمل جواب صحيح وسديد وموفق، ولكن قل من يفهمه، وهم الذين وفقهم الله تعالى، فلا ينبغي الاستهانة بذلك الجواب، أذا الأمر كما قال تعالى ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(١)

ثم هناك الجواب المفصل، وذلك لأن أعداء الله وأعداء دينه لهم أشياء كثيرة، وحجج متعددة، يعترضون بها على دين الرسل وقصدهم بذلك الصد عن سبيل الله، (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٢).

ومن حججهم التي يحتجون بها دائماً قولهم: نحن لا نشرك بالله ونقر بأنه الخالق الرازق النافع الضار المتصرف المدبر وحده لا شريك له في شيء من ذلك كله، ولا حتى النبي ﷺ أو غيره، ولكن نحن مذنبون، وعصاه ونعرف أن الأنبياء والصالحين لهم جاه ومكانة عند الله تعالى، فنحن نتخذهم واسطة بيننا وبين الله، ونطلب من الله تعالى بهم، فهم أقرب للإجابه. فهذا يجاب عليه بما تقدم في الجواب المجمل الذي سبق سياقه.

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٥)

(٢) سورة الصف الآية (٨)

الخلاصة:

١- الجواب المجمل على شبهات المشركين هو أن كلامهم يناقض الكلام المحكم من كتاب الله وكلام نبيه.

٢- كلام الله ورسوله لايتناقض أبداً في نفسه.

المناقشة:

س١: هات مثالاً للجواب المجمل على شبهات المشركين.

س٢: هل يمكن أن يوجد تناقض بين كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ؟

المبحث السادس
(الرد المفصل على شبهات المشركين)

وأما الجواب المفصل:

فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم[1] فجاوبه بما تقدم، وهو:

أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيء، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة.

واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين من الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟.

فجوابه بما تقدم؛ فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة.

---

(١) أقول: هذه الشبهة يرددها عامة القبورية على ألسنتهم وفي كتبهم وهذه الشبهة مركبة من شبهتين الشبهة الأولى: زعمهم أن الشرك غير وارد في هذه الأمة فينكرون وجود الشرك ووقوعه في هذه الأمة إنكارا قاطعاً. وسبب ذلك أنهم لا يعدون النذر لغير الله ولاستغاثة بغير الله ونحو ذلك شركاً، وإنما الشرك عندهم أن يقال في غير الله أنه رب وخالق بالاستقلال.
كشف النقاب للنقوى ٤٤ - ٥٠.
كشف الأسرار للخميني ٢٧ - ٥٩، ٧٥،
الحقائق لابن داود ٤٤ (مخطوط).
منهج الرشاد للنجفي ٢٩،

اللغة: (مقرون) معترفون - (الجاه) المنزلة - (الربوبية) انفراد الله بالخلق والتدبير والتصريف.

الشرح: ومفاد ذلك أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم لم ينكروا أن الله تعالى هو المنفرد بأمر الربوبية والخلق والتدبير، وانما فقط كل ماأرادوه الشفاعه عند الله تعالى ممن عبدوهم من الصالحين الذين كانت تلك الأصنام على هيئتهم، والجاه عند الله تعالى وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه فقال في بيان طلبهم للجاه :﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] وقال في بيان طلبهم للشفاعه :﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2] فإذا احتج المعارض بأن الآيات فيمن عبد

= البراهين للطباطبائي ٣٢.
البراهين للقضاعي ٣٧٥ - ٣٧٨ ، ٣٨٠ - ٣٨١، ٣٨٨، ٣٩٠٠، ٤٤٠، والفرقان له ١١١- ١١٦،
والتوسل لابن مرزوق ٢٠ - ٢١، ٢٤، والبراءة له ٨٩ - ٩١ - ٩٣.
ومقالات الدجوى ١/ ١٦٢ - ١٦٧، ومفاهيم المالكي ٤٩، ٧٤.
والشبهة الثانية: قولهم نحن مذنبون وملطخون بالذنوب بعيدون عن الله، والصالحون لهم جاه عند الله فيشفعون لنا عند الله، لأنه كما أن الوزراء والامراء يشفعون للناس عند الملوك في الحياة الدنيا فيقبلون شفاعتهم فيهم كذلك الله تعالى يقبل شفاعة الأولياء.
انظر كشف النور للنابلسي ٢٠، ولمع البرق للبكري ٤٤٧ المطبوع في آخر شواهد الحق، للنبهاني، صلح الإخوان ١٤١ - ١٤٢،
وسعادة الدارين للسهنودي ١/ ٣٠٩، وشواهد الحق ١٣٩ - ١٤١ للنبهاني الحنفي.
٢٦٩ - ٢٧٥، ٤٤٧، والأقوال المرضية للكسم الحنفي ١٢: وتطهير الفؤاد للمطيعي الحنفي ١٦١، والبصائر للداجوى الحنفي ومفاهيم المالكي ٤٣، وبراءة الأسفريني ٢٦٦، والتوسل ١٩٣، كلاهما لابن مرزوق.

(٢) سورة الزمر الآية (٣)

(٣) سورة يونس الآية (١٨)

الأصنام، فكيف يلحق به من قصد الأولياء الصالحين والأنبياء؟ وكيف يساوى بينهم وبين الأصنام؟ فيجاب عليه بما تقدم وبأن الكفار كانوا مقربين بأمر الربوبيه لله تعالى كما يقربه عبدة الأنبياء والصالحين والدليل قوله تعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]. فما الفرق بينهم؟ كلهم يقر لله بالربوبية، وإنما اتخذ الوسائط تقربه الى الله تعالى، وتشفع له عند الله عز وجل، فهم في ذلك سواء لافرق بينهم

(١) سورة لقمان الآية (٢٥)

. . . ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر.

فاذر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء، الذين قال الله فيهم ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٧].

ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله - تعالى -: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٧٥ - ٧٦].

واذكر قوله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٤٠ - ٤١].

اللغة: (يبتغون) يريدون ويطلبون (يؤفكون) يصرفون عن الحق.

الشرح: فإذا أراد المعارض أن يفرق بين فعل من عبد الأصنام وفعل من عبد الصالحين والأنبياء، فيقال له إن الكفار منهم من كان يعبد الأصنام، ومن كان يدعو الصالحين ومنهم من كان يعبد الأنبياء، بل إن وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كلهم كانوا أناساً صالحين من قوم نوح صور أقوامهم أصناماً على هيئتهم ليذكروهم بعد موتهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، كما ثبت عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما والآيات المذكورة تدل على أن من الكفار من عبد الصالحين من الملائكة والجن وغيرهم فاتخذوهم أرباباً، بينما هؤلاء المعبودون يتقربون إلى ربهم عز وجل لأنهم أهل إيمان به، وذكر تعالى من عبدالمسيح وأمه فبين أن المسيح ما هو إلا رسول وأمه صديقه، كانا يأكلان كعادة البشر

فكيف يعبدان من دون الله تعالى وهما لا يملكان ضراً ولا نفعاً لأنفسهما ولا لغيرهما، وكذلك ذكر من عبدالملائكة وذكر ما يكون في يوم الحشر حينما يسأل الملائكة عن عبادة هؤلاء لهم فيتبرأ منهم الملائكة ويقرون لله تعالى بالربوبية والولاية دون هؤلاء العابدين وإنما كان هؤلاء العابدون يعبدون الجن من دون الله تعالى.

. . . وقوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ **الآية [سورة المائدة، الآية: ١١٦].**

فقل له: عرفت أن الله كفّر من قصد الأصنام، وكفّر - أيضاً - من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قيل: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

اللغة: (إلهين) معبودين (قصد) عبده وتوجه إليه.

الشرح: وكذلك ذكر تعالى ما يكون من الكلام بينه وبين عيسى عليه السلام يوم القيامة حيث يسأل الله تعالى عيسى عليه السلام إن كان قد طلب من هؤلاء الكفار النصارى أن يعبدوه. فيتبرأ عيسى منهم ويحكى ما طلبه منهم وهو إفراد الله تعالى ويكل العلم إلى الله تعالى الذي يعلم كل شيء، ويعلم ما في نفوس عباده فحينئذ يتبين لهذا المخالف أن الله تعالى قد حكم في كتابه بالكفر على من عبد الأصنام أو عبد الصالحين أو حتى الأنبياء والملائكة، وعلى هذا قاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن احتج المعترض بأن الكفار طلبوا ممن عبدوهم قضاء الحوائج، بينما هذا المخالف المعارض يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر الذي كل شيء بيده، ولا يطلب الحوائج من غيره، لا جلب نفع، ولا دفع ضر، هؤلاء الصالحون ليس لهم من الأمر شيء، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[1]

وإنما قصده فقط من وراء التوجه إلى الصالحين طلب شفاعتهم عند الله تعالى

(١) سورة النحل الآية (٧٣)

. . . فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، فاقرأ عليه قوله - تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣].

وقوله - تعالى -: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨].

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم.

فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم ليس بعبادة(١).

فقل له: أنت تُقرّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك؟. فإذا قال: نعم؟. فقل له: بين لي هذا الذي فرضه الله عليك - وهو: إخلاص العبادة لله وحده -، وهو حقه عليك -.

فإنه لا يعرف العبادة، ولا أنواعها.

اللغة: (أيسر) أسهل (الالتجاء) الركون والاحتماء (إخلاص العبادة) تنقيتها وإفرادها.

الشرح: فيجاب عليه بأن كلامه هو كلام الكفار بسواء، لا فرق. فإنهم قالوا « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ »(٢) وقالوا: « هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) هذه الشبهة أيضا من أعظم شبهات القبورية وحاصلها: أن القبورية يزعمون أنهم لا يعبدون الأولياء بل يدعونهم لأن دعاء الأموات والاستغاثة بهم عند الملمات ليس من العبادة في شيء وقد تشبثوا بهذه الشبهة في عامة كتبهم وبها برروا الإستغاثة بالأموات عند الكربات.
انظر «صلح الإخوان» لابن جرجيس: (١١٩، ١٤٢، ١٤٤) والبراهين للقضاعي (٣٨٨ - ٣٨٩) و«الدر السنية» لدحلان: (٣٤، ٣٩، ٤٠).

(٢) الزمر الآية (٣)

شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ »[١] فلا فرق بينه وبينهم، فالكل أقر بالربوبية، لكنه اتخذ وسائط يدعوهم ويرجو شفاعتهم ثم ينبغي أن يعلم أن هذه الشبهات هي أكبر ما عندهم من الشبه المضلة، ولكن هذه الشبه قد وضحها الله تعالى في كتابه كما سبق، وقد سبق الكلام عن ذلك فحينئذ إذا ادعى ذلك المعترض أن التجاءه إلى هؤلاء الصالحين ليس عبادة لهم وأنه لا يعبد إلا الله وحده، وأن هذا الدعاء منه لهم ليس بعبادة أبداً فيقال له: هل تقر أن الله تعالى قد طلب منك وافترض عليك إخلاص العبادة له دون سواه، وهذا حقه عليك؟ فإن قال: نعم. حينئذ يقال له: هل تعرف هذه العبادة التي افترضها الله عليك، وأوجب عليك إخلاصها له، وتقر بأنها حق الله تعالى عليك؟ فحينئذ يتبين أنه لا يعرف ما هي العبادة ولا أنواعها، ويظهر واضحاً مدى جهله بدين الله عز وجل.

(١) يونس الآية (١٨)

. . . فبينها له بقولك: قال الله - تعالى -: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٥].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟. فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة.

فقل له: إذا أقررت أنها عبادة لله، ودعوت الله ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره؟. فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا علمت بقول الله - تعالى -: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [سورة الكوثر، الآية: ٢].

وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟. فلابد أن يقول: نعم فقل له: فإن نحرت لمخلوق: نبي، أو جني، أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟. فلابد أن يقر، ويقول: نعم. . . .

اللغة: (أعلمته) أخبرته. (انحر) النحر هو الذبح.

الشرح: حينئذ ينبغي بيان العبادة له، فيذكر له الدعاء كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾(١). فيقال له: هل الدعاء عبادة؟ فلا بد أن يجيب بنعم ويقول بأن الدعاء هو مخ العبادة(٢).

فإذا أقر المخالف أن الدعاء عبادة، فيقال له، إذا صرفت هذه العبادة لغير الله فدعوت في حاجتك غيره أفلا تكون مشركاً مع الله تعالى؟ فلا بد أن يجيب بنعم وكذلك يسأل ذلك المعاند عن قوله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾(٣)

---

(١) سورة الأعراف الآية (..)

(٢) حديث (الدعاء مخ العبادة) ضعيف رواه الترمذي وغيره، والصحيح ما أخرجه أحمد وأصحاب السنن وغيرهم: «إن الدعاء هو العبادة».

(٣) سورة الكوثر الآية (٢).

ويقال له: هل النحر لله تعالى عبادة؟ فيقول: نعم. فيقال له. إذا نحر رجل لمخلوق من ملك أو جني أو نبي أو ولي ألا يكون قد أشرك مع الله تعالى في العبادة التي افترض الله عليه إخلاصها، وأمره بذلك وهو خالص حقه عز وجل؟ فلا بد أن يقر بذلك ويقول: نعم.

. . . وقل له - أيضاً -: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟. فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء، والذبح، والالتجاء، ونحو ذلك؟. وإلا فهم مقرون أنهم عبيده، وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة.

وهذا ظاهر جداً.

اللغة: (القهر) البطش والقوة.

الشرح: ويقال لهذا المعاند أيضاً: هل كان المشركون الذين نزل القرآن في شأنهم، هل كانوا يعبدون آلهتهم التي اتخذوها من دون الله وملائكته والصالحين وغيرهم؟

فيقول: نعم. فيقال له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا بالذبح لهم والالتجاء إليهم، والاستعاذة بهم، ودعائهم، وغير ذلك؟

وإلا فإنهم كانوا مقرين لله تعالى بالربوبية، بكل مظاهرها، وكانوا مقرين أنهم تحت قهر الله تعالى وبطشه، وإنما فقط دعوا هؤلاء الوسائط والتجأوا إليهم لطلب بلوغ الجاه عند الله، والشفاعة منهم لهم عند الله وقد سبق الكلام عن ذلك فهو ظاهر لا يحتاج إلى تعليق.

الخلاصة:

حجج المشركين كثيرة، فهم يصرفون الآيات القرآنية عن معانيها ويحتجون لشركهم بأن آلهتهم إنما عبدوها تقرباً إلى الله تعالى ورجاء لشفاعتها لهم، ويجب على المسلم معرفة كيف يرد عليهم.

المناقشة:

س ١: ما هي أهم حجج المشركين التي احتجوا بها لأفعالهم؟

س ٢: كيف ترد على من قال إن الآيات التي ذكر فيها الشرك نزلت في حق من عبدوا الأصنام!

المبحث السابع
(حول مسألة الشفاعة)

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟[١].

فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو الشافع والمشفع، وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال - تعالى -: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٤].

ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال - عز وجل -: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥].

ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال - عز وجل -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨].

وهو - سبحانه - لا يرضى إلا التوحيد، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٥]. . . .

اللغة: ....

الشرح: فإن قال هذا المعاند: أتنكر شفاعة الرسول ﷺ وتبرأ منها؟ فيقال له: لا. فإنه ﷺ هو الشافع والمشفع[٢] وكلنا نرجو شفاعته ﷺ يوم القيامة، لكن

---

(١) قلت هذه من أعظم شبهات القبورية فإنهم يزعمون أن الإستغاثة بالأموات ونداءهم عند الملمات من باب التوسل والشفاعة.
انظر: «شفاء السقام» للسبكي (١٣٤ - ١٤٠ - ١٤٥) و«شواهد الحق» للنبهاني (١٣٩ - ١٤١، ١٦٨) و«الأنوار المحمدية» له (٥٨٩ - ٥٩٩) و«البراهين» للقضاعي: (٣٩١) و«الفرقان» له (١١٧ - ١٢٢) و«المدخل» لابن الحاج (١/٢٥٨ - ٢٥٩) و«المواهب» للقسطلاني (٤/٥٨٠) وشرحها للزرقاني (٨/٣٠٥) وصلح الإخوان: (٩١).

(٢) كما في حديث الشفاعة الطويل: «يا محمد! ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع».

هذه الشفاعة كلها لله، كما قال عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[١] ولا يشفع أحد لأحد إلا بشرطية: أن يأذن للشافع، كما قال عز وجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٢] والشرط الثاني أن يرضى الله تعالى عن الشفاعة للمشفوع فيه فيأذن بها، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٣] فهذان الشرطان لابد منهما للشفاعة، الإذن للشافع والرضى عن المشفوع فيه، والله عز وجل لا يرضى من خلقه إلا التوحيد، ولا يرضى منهم أبداً الكفر ولا يقبل منهم غير الإسلام، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٤] **فكيف ينتظر المشرك شفاعة النبي ﷺ؟.**

---

(١) سورة الزمر الآية (٤٤)

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥)

(٣) سورة الأنبياء الآية (٢٨)

(٤) سورة آل عمران الآية (٨٥)

. . . فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله - تعالى - إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك أن الشفاعة كلها لله، وأطلبها منه؛ فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، فقال - تعالى -: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك؛ فأطعه في قوله ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨].

و - أيضاً - فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم. فإن قلت هذا؛ رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا. بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

اللغة: الأفراط) المقصود بهم الوالدان يموتون قبل الحلم.

الشرح: فلما كانت الشفاعة كلها لله، لا تكون إلا من بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع فيه، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، تبينه أنها كلها لله، فلم يجز طلبها من غيره، بل تطلب منه وحده، فيقال: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيّ، ونحو ذلك. فإذا احتج المعارض بالقول إنه إنما يطلب من النبي ﷺ الشفاعة التي أعطاه الله إياها - فيقال له: أعطاه الله الشفاعة، ونهاك أن تطلبها منه فقال: «**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**»[1]، فإذا كنت تريد شفاعة النبي ﷺ عند الله تعالى فأطعه في نهيه عن عن دعاء غير الله عز وجل.

---

(١) سورة الجن الآية(١٨)

وكذلك فإن الشفاعة ليست خاصة برسول الله ﷺ فقط، وإن كان هو صاحب الشفاعة العظمى، فإن الملائكة تشفع كما سبق، والأفراط، وهم الولدان الذين ماتوا قبل الحلم يشفعون لآبائهم، وكذلك الصالحون، فلم لا تطلب الشفاعة من هؤلاء جميعاً، فإن قال أطلب الشفاعة من كل وأدعوهم وأدعوهم. قيل له: رجعت إلى الشرك الذي أقررت بأنه شرك أكبر، وهو عبادة الصالحين التي سبق الكلام عنها، وإن قال: لا أطلب منهم الشفاعة قلنا له: الآن أبطلت قولك في أنك تطلب من النبي ﷺ ما أعطاه الله إياه من الشفاعة.

الخلاصة:

١ - شفاعة النبي ﷺ حق.

٢ - احتج المشركون بهذه الشفاعة لشركهم بالله ودعائهم نبيه ﷺ.

المناقشة:

س ١: هل شفاعة النبي ﷺ ثابتة؟

س ٢: ما هي شروط الشفاعة المشروعة؟

س ٣: كيف تجيب من يقول: أنا أطلب النبي ﷺ مما أعطاه الله.

المبحث الثامن
(معنى الشرك والعبادة)

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرّمه الله، وذكره أنه لا يغفره؟. فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك، وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟!. أتظن أن الله يحرّمه ولا يبينه لنا؟. . . .

اللغة: ....

الشرح: قد يقول هذا المعاند المخالف: أنا لا أشرك بالله تعالى، ولا أعبد من دونه أحداً، وهذا الالتجاء إلى الأنبياء والصالحين ليس بشرك أبداً.

حينئذ يقال له: هل تقر أن الله تعالى قد حرم الشرك، وعظم من خطورته وذكر أنه لا يغفره أبداً، فإنه لا يعارض في ذلك، وفي أن الشرك أعظم من الكبائر وغيرها، فيقال له: هل تعرف الشرك أصلاً الذي حرمه الله تعالى وذكر أنه لا يغفره؟ فحينئذ يظهر أنه لا يعرفه أبداً، فيقال له عندئذ: كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ وكيف يذكر الله عظم تحريمه ويغلظ في شأنه، ثم لاتسأل عنه ولا تعرفه؟ وهل يمكن الظن بأن الله تعالى حرم علينا الشرك لكنه لم يبينه لنا؟

كلا. فإن هذا ظن سوء بالله تعالى، ومحال أن يكون هذا الأمر مما لم يتوفر القرآن على بيانه، بل هو من أعظم ما بينه الله في كتابه وحذر منه

. . فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟. أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، كما في قوله - تعالى -: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ. . ﴾ الآية [سورة يونس، الآية: ٣١].

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر، أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له - أيضاً -: قولك: الشرك عبادة الأصنام.

هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين، ودعائهم لا يدخل في ذلك؟

فهذا يردُّ ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة، أو عيسى، أو الصالحين، فلابد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن.

وهذا هو المطلوب.

اللغة: (زلفى) قربة ومنزلة

الشرح: وإن قال: الشرك إنما هو عبادة الأصنام وأنا لا أعبدها فيقال له: ما المقصود بعبادتها؟ إن الذين عبدوها من دون الله لم ينسبوا إليها شيئاً من خواص الربوبية والقرآن قد يبين ذلك بوضوح كما قد سبق، وكما في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية.

وإن قال: الشرك قصد شجرة أو خشبة أو حجر أو غيره يدعى ويذبح له بزعم أنه يقرب من الله تعالى وأن الله يرفع السوء ببركته، فيقال له: وهذا هو عين فعلكم عند القبور والأضرحة وغيرها، وإقرارك هذا بأن أفعال المشركين هي ما ذكرت هو عليه ما نريده منك لتقر بأن ما أنت عليه شرك بالله تعالى ويقال له: هل الشرك مخصوص بعبادة الأصنام فقط؟ أم إن هناك شركاً بعبادة المسيح وأمه والعزير والملائكة وغيرهم، فإن قال الشرك مخصوص بالأصنام فإنه يكون معارضاً لكتاب الله تعالى راداً لما ذكره الله عز وجل وإن قال: يشمل عبادة الأصنام وغيرها من المعبودات، كان هذا هو عليه المطلوب منه الإقرار به، وبذلك تظهر عليه الحجة

. . . وسر المسألة، أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسره لي؟.

فإن قال: هو عبادة الأصنام؟.

فقل له: وما

معنى عبادة الأصنام؟. فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنا عبادة الله وحده؟. فسرها لي.

فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه، فكيف يدّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟!.

وإن فسر ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له، هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم، حيث قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص، الآية: ٥].

اللغة: (عجاب) غريب عجيب جداً.

الشرح: والسر في هذه المسألة هو أنه إذا نفى ذلك المدعى الجاهل عن نفسه الشرك فإنه يسأل عن معنى الشرك ، فإنه قال: هو عبادة الأصنام فإنه يسأل عن معنى هذه العبادة، فإنه قال: أعبد الله. سئل عن معنى عبادة الله ، فإنه إذا أجاب بمقتضى الكتاب والسنة فقد حصل المراد.

وإن لم يعرف معناها فيقال له: كيف تنفي شيئاً وأنت لا تعرف معناه ثم يبين له أن الآيات البينات في كتاب الله توضح أن الشرك بالله تعالى، هو عين ونفس ما يفعله هؤلاء المشركون المبتدعون في أزمنتنا هذه، وأن التوحيد الحق هو ما ينكره هؤلاء المبتدعون، ويتعجبون منه كما تعجب

أسلافهم من قبل، حيث قالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾(١).

وهم سائرون على درب أسلافهم، كلما دعوا إلى الحق تعجبوا، وكلما سمعوا الدعوة إلى توحيد الله تعالى أنكروا.

الخلاصة:

١ - الجاهل المشرك يبرىء نفسه من الشرك وهو لايدري معناه.

٢ - أخطأ المشركون في زماننا في فهم معنى عبادة الأصنام، فوقعوا في مثل ذلك.

٣ - وجوب بيان معنى الشرك ومعنى العبادة الصحيحة للجهال المشركين حتى تقام عليهم الحجة؟

المناقشة:

س١: هل فهم مشركو هذا الزمان حقيقة عبادة الأصنام؟ وضح ذلك.

س٢: ما الواجب علينا بيانه لهؤلاء المشركين الجهال؟

(١) سورة ص الآية (٥)

المبحث التاسع
(الفرق بين شرك الأولين والمتأخرين)

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا هذا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه؛ فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا، بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون، ولا يدعون الملائكة، والأولياء، والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٦٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠ - ٤١].

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي: أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله - تعالى -، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم؛ تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.

ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً.

والله المستعان.

اللغة: (منيبا) تائبا راجعا، (غشيهم) غطاهم وغلبهم.

الشرح: وإذا تبين أن اعتقاد المشركين في زماننا هذا هو الذي سمَّاه الله تعالى في كتابه شركاً، وكفَّر من أتى به، وقاتل رسول الله ﷺ عليه الناس، تبين لنا حينئذ أن شرك الأولين أخف وأهون من شرك أهل زماننا لأمرين:

الأول: أن الأولين كانوا يدعون الله تعالى ويدعون معه غيره من آلهتهم في حال الرخاء والنعمة، وأما في حال الشدة والكرب فإنهم كانوا يخلصون الدعاء لله وينبذون آلهتهم التي يدعون من دونه، وذلك كما حكى سبحانه عنهم في الآيات المذكورة وفي غيرها من الآيات، فكلها توضح وتصرح أن شرك الأولين كان حال الرخاء وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدعاء واللجوء لله تعالى، لعلمهم أنه لا ينجيهم غيره، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[1] فمن فهم هذه المسألة جيداً تبين له أن مشركي هذا الزمان أعظم شركاً مما كان عليه المشركون على عهد رسول الله ﷺ.

(١) العنكبوت الآية (٦٥).

. . . والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يجعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من: الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي - مثل: الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً، وأخف شركاً من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فاصغ سمعك لجوابها، وهي:

أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً..

ونحن نشهد أن (لا إله إلا الله) وأن (محمداً رسول الله)، ونصدّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

اللغة: (أفسق) أفجر.

الشرح: والأمر الثاني الدال على أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا، هو أن الأولين كانوا يعبدون آلهة من الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين أوغيرهم، أو حتى الأشجار والأحجار وهي مخلوقات لاتعصى الله تعالى، وأما مشركو زماننا فإنهم يعبدون الصالحين وغير الصالحين، بل إنهم أحياناً يعبدون أناسا اشتهر عنهم الفجور كالزنا والسرقة، وترك الصلاة وغير ذلك، وهم يعرفون ذلك عنهم، بل ويحكونه عنهم ولاشك

أن الذي يعتقد في الصالحين أهون من الذي يعتقد في غير الصالحين وإن كان كلاهما مشركا بالله العظيم.

ولهؤلاء المشركين في زماننا شبهة من أعظم شبههم يوردونها على من رماهم بالشرك وسفَّه ما هم عليه، فإنهم يقولون: كيف تحكمون علينا بالشرك وتجعلوننا مثل المشركين الأولين، أو أعظم شركاً منهم، وهم كانوا لايشهدون بكلمة لا إله إلا الله، ولايقرون بنبوة الرسول، وينكرون البعث والحساب، ويكذبون بالقرآن، ويجعلونه سحراً بينما نحن نقر بأنه لا إله إلا الله، ونصدق بنبوة الرسول ﷺ، وبالقرآن، ونصلي ونصوم، ونتصدق فكيف يليق أن تجعلونا مثل أولئك المشركين؟

الخلاصة:

١ - هناك اختلاف بين شرك الأولين وشرك المتآخرين وذلك في أمرين:

أ - شرك الأولين في حالة الرخاء فقط، وأما شرك المتأخرين ففي كل حال.

ب - الأولون عبدوا من ظنوا فيهم الصلاح وأما المتأخرون فعبدوا أهل الصلاح وأهل الفجور.

المناقشة:

س١: هل هناك فرق بين شرك الأولين والمتأخرين؟

س٢: ما هي أبرز الفروق بينهم؟ دلل على ماتقول؟

المبحث العاشر:
(حكم من آمن ببعض وكفر ببعض)

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء؛ أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

ومن أقر بهذا كله وجحد البعث؛ كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال - جل جلاله -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة النساء، الآيتان: ١٥٠ - ١٥١].

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً؛ زالت هذه الشبهة.

وهذه التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

اللغة: (جحد) أنكر (أقر) اعترف.

الشرح: أي فالرد على تلك الشبهة لهؤلاء المشركين هو أن العلماء مجمعون على أن من أقر بشيء مما جاء به الرسول ﷺ وأنكر شيئاً آخر

وجحده، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، فمن أقر بالتوحيد وجحد الصلاة كفر، ومن أقربهما وجحد الزكاة كفر، وهكذا كما قال تعالى في حق من لم ينقد للحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1] ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2].

فهذه نصوص صريحة من كتاب الله في بيان كفر من أقر بشيء من الدين وجحد شيئاً أو صرف شيئاً من العبادة لله وشيئاً آخر لغيره، فلا ينفعه حينئذ ما أقربه من الدين، أو ما صرفه لله تعالى من العبادة، وإذ كان الله تعالى قد قال ﴿**أولئك هم الكافرون حقاً**﴾ فقد زالت بذلك شبهة هؤلاء المشركين التي سبق ذكرها وبهذا ينحل، الإشكال، وهذه الشبهة ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه إلى الشيخ رحمه الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٧).

(٢) سورة النساء الآيتان (١٥٠ : ١٥١).

. . . ويقال - أيضاً -: إذا كنت تقرّ أن من صدّق الرسول في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع.

وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث.

وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان وصدّق بذلك كله.

ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن - كما قدمنا -.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء به النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر؟ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل.

اللغة: ....

الشرح: ويقال كذلك لهؤلاء المشركين: من العجيب أنكم تقرون بأن من صدق الرسول في كل شيء ثم جحد الصلاة أنه كافر، حلال الدم والمال بالإجماع، وذلك لو أقر بكل شيء إلا البعث فإنه يكفر، وكذلك لو أقر بكل شيء إلا صيام رمضان فالقرآن قد نطق بهذا، والمذاهب اتفقت عليه، وأنتم تقرون به، ومن الغريب أنكم لاتكفرون من أشرك مع الله في العبادة، ونقص التوحيد الواجب عليه، لاتكفرونه بسبب إقراره بالأمور التي جاء بها الرسول ﷺ من الأحكام وغيرها، وتتحرجون من القول بكفره، فكيف يستقيم هذا مع ما قدمناه من تكفيركم للأول، مع العلم بأن التوحيد هو دين الرسل جميعاً، وهو أعظم ما أرسل به النبي ﷺ، وهو أعظم ما افترض الله تعالى على عباده؟ إن تناقضكم هذا من أعجب العجب.

. . . ويقال - أيضاً -: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون، ويؤذّنون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي.

قلنا: هذا هو المطلوب.

إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع (شمسان)، أو (يوسف)، أو صحابياً، أو نبياً في مرتبة جبار السموات والأرض؟.

سبحان الله! ما أعظم شلنه. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٩]. . .

اللغة: (مرتبة) منزلة. (يطبع) يختم.

الشرح: أي ومما يقال أيضاً لهؤلاء المشركين في نقض حجتهم وإبطال شبهتهم إن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة واستحلوا دماءهم وأموالهم. مع أنهم أسلموا مع النبي ﷺ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وكانوا يصلون، ويؤذنون.

فإن أجاب هؤلاء المشركون بأن بني حنيفة قالوا: إن مسيلمة نبي.

قيل لهم: صدقتم! وهذا هو المطلوب، فإذا كان من رفع رجلًا إلى مرتبة النبي ﷺ وأشركه معه في النبوة كفر وحل ما له ودمه ولم ينفعه الصلاة ولا الصيام، ولا الإقرار بالشهادتين.

فكيف بمن رفع رجلًا إلى مرتبة الجبار الخالق سبحانه وتعالى، سواء كان يوسف أو شمسان، ممن عبدهم المشركون في زمان الشيخ رحمه الله أو حتى كان صحابياً أو نبياً؟ إن من جادل في هذا فهو ممن طبع الله تعالى على قلبه، ولاشك أنه من الذين لايعلمون.

. . . ويقال - أيضاً -: الذين حرّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في (يوسف) و(شمسان) وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟!

أتظنون أن الصحابة يُكَفِّرون المسلمين؟

أتظنون أن الاعتقاد في (تاج) وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفر؟

ويقال - أيضاً -: بنو عبيد القدّاح - الذين ملكوا المغرب ومصر، في زمن بني العباس - كلهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ويدّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه؛ أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

اللغة: (يدَّعون) يزعمون.

الشرح: أي ومما يجاب به على هؤلاء المشركين فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمن غلوا فيه ورفعوه إلى مرتبة الألوهية، حيث أحرقهم بالنار، رغم أنهم ادعوا الإسلام، وتعلموا من الصحابة، واتفق الصحابة على وجوب قتلهم، فهل يمكن أن يكون الصحابة قد كفروا المسلمين واستحلوا دماءهم؟ وكيف يكون من أعتقد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كافراً، ولايكفر من اعتقد فيمن دون علي كيوسف وشمسان وتاج، وغيرهم؟ هذا من أعجب العجب.

ويجاب عليهم أيضاً بأنه بني عبيد القداح الذين ظهروا في أيام بني العباس وملكوا مصر والمغرب وغيرها، كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله، وادّعوا الإسلام، وصلوا الجمعة والجماعة، لكن لما ظهر منهم مخالفات للشريعة أقل مما يفعله مشركو زماننا، اتفق العلماء على كفرهم ووجوب قتالهم، وقاتلهم المسلمون فعلا حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين.

. . . ويقال - أيضاً -: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك. .

فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: «باب حكم المرتد»؟ وهو: المسلم الذي يكفر بعد إسلامه.

ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يُكفِّر، ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل: كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

اللغة: (يسيرة) بسيطة.

الشرح: أي ويقال أيضاً لهؤلاء المشركين: أنتم تزعمون أن المشركين الأوائل لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا أموراً هي الشرك وتكذيب الرسول ﷺ وإنكار البعث وغير ذلك، وهذا بزعمكم، مع أنا نقول إن المخالفة في أي من هذه المسائل تكفي للحكم بالكفر ولو لم يوجد غيرها.

لكن نسألكم: ما معنى الباب الذي يذكر في كتب الأحكام، وفي كل مذهب، وهو (باب حكم المرتد) والمرتد هو الذي يكفر بعد أن كان مسلماً، ويذكر العلماء في هذا الباب أشياء كثيرة من الأمور التي يكفر بها المسلم، بل إن مما ذكروه أشياء يسيرة، وألفاظ قد يقولها باللسان دون القلب، أو يقولها على سبيل المزح واللعب، كما قال بعض العلماء في تكفير من قال: شبعت من القرآن أو كرهت أن أقرأه، ومن قال: اطبخ القدر بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] وقصده الاستخفاف ومن قال عند اجتماع الناس عنده ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾[2].

وغير ذلك من الألفاظ التي كفَّر بها بعض العلماء حتى ولو كانت على سبيل الهزل لا الجد[3].

---

(١) سورة الإخلاص. (٢) سورة الكهف: الآية (٩٩). (٣) انظر كتاب (ألفاظ الكفر) لبدر الرشيد.

... ويقال - أيضاً -: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧٤].

أما سمعت أن الله كفّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون، ويوحدون؟.

كذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ٦٥ - ٦٦].

فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويصلون، ويصومون.

ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

اللغة: ....

الشرح: ومما يقال لهم أيضاً: إن الله تعالى كفَّر أناساً في زمان النبي ﷺ بكلمة قالوها مع أنهم كانوا يصلون مع النبي ﷺ ويزكون ويحجون، بل ويوحدون، ومع ذلك كفرهم الله تعالى فقال: « يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ »[1].

وكذلك الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم قالوا كلمة على وجه المزح ـ كما زعموا ـ فيها استهزاء بالرسول ﷺ ، قال الله تعالى فيهم: « قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ

(١) سورة التوبة الآية (٧٤).

إِيمَـٰنِكُمْ »[1]، فانظر كيف كفرهم الله بالكلمة رغم ما سبق من توحيدهم وصلاتهم وجهادهم.

فإذا تأملت شبهة هؤلاء المشركين وهي تعجبهم تكفير مسلمين يوحدون ويصلون ويزكون ـ كما زعموا ـ وتأملت ما أجبنا به عليهم نفعك الله به، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق بفضل الله تعالى.

الخلاصة:

١ – من آمن بشيء من الدين وكفر بشيء فهو كافر.

٢ – النبي ﷺ كفّر أصناما من الناس بهذا وكذلك أصحابه من بعده، وقاتلوهم.

٣ – يكفر المرء بنطق كلمة الكفر مازحاً.

المناقشة:

س١: ما حكم من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض؟

س٢: هات صوراً توضح كفر هذا الصنف من الناس؟

س٣: ما حكم من نطق بكلمة الكفر مازحا؟ اذكر الدليل؟

(١) سورة التوبة الآيتان (٦٥: ٦٦).

المبحث الحادي عشر
(شبهات والرد عليها)

ومن الدليل على ذلك - أيضاً -: ما حكى الله عن بني إسرائيل، مع إسلامهم، وعلمهم، وصلاحهم؛ أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨].

وقول أناسٍ من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط. فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً﴾.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا.

ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا.

وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ، لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا. وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد: أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: «التوحيد فهمناه»، إن هذا من أكبر الجهل، ومكائد الشيطان.

اللغة: (يدلون) يلقون (التحرز) الحذر والاحتياط.

الشرح: ومن الدليل على ما سبق من أن الذي يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه أنه يكفر ما وقع لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام لما قالوا له

﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾[١] وقول بعض الصحابة للنبي ﷺ (اجعل لنا ذات أنواط)[٢] فحلف لهم النبي ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل السابق، وقد يقول بعض هؤلاء المشركين عند سماع هذه القصة إن كلا الفريقين لم يكفر بمقالته هذه. لكن يجاب عليهم بأنهم لم يفعلوا ما نهوا عنه ولا خلاف في أن بني إسرائيل لو فعلوا ما نهوا عنه لكفروا، ولا خلاف في أن الصحابة لو لم يطيعوا النبي ﷺ لكفروا بذلك، وهذا هو المطلوب إثباته من هذه القصة ومن أعظم ما يستفاد من هذه القصة أن المسلم، بل والعالم قد يقع في أنواع من الشرك من غير أن يدري، لذلك ينبغي الحذر والتحرز منها، ويجب تعلمها حتى لا يقع فيها، ومن هنا أيضا يتبين أن قول الشخص الجاهل (التوحيد فهمناه) يدل على جهله وقلة علمه بمكايد الشيطان، إذ كان أصحاب النبي ﷺ كادوا يقعون في الشرك وهم لا يدرون، فلهذا كان ذلك القول وصاحبه حيلة شيطان ليوقعهم الشيطان في حبائل الشرك وهم لا يدرون، فيضلون وهم يحسبون أنهم مهتدون.

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

(٢) الترمذي (٢١٨٠) وقال حسن صحيح، وأحمد (٥/٢١٨) وغيرهما من حديث أبي واقد الليثي وهو حديث صحيح.

وتفيد - أيضاً -: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على ذلك، وتاب من ساعته؛ أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ.

وتفيد - أيضاً -: أنه لو لم يكفر فإن يغلظ عليه في الكلام تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله ﷺ.

... ولهم شبهة أخرى، يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: (لا إله إلا الله)، وقال: «أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟»، وكذلك قوله: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله». وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون: (لا إله إلا الله).

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ويصلون، ويدّعون الإسلام.

اللغة: (يغلظ) يشدد.

الشرح: ومن أعظم ما يستفاد من هذه القصة كذلك أن المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، ولا يعلم أنه كفر، بل هو جاهل بكونه كفراً ثم أتاه من ينبهه ويعلمه ويحذره، فرجع من ساعته وتاب، أنه لا يكفر بذلك، فإن بني إسرائيل لم يحكم بكفرهم حين قالوا ما قالوا، وأصحاب النبي ﷺ لم يكفروا حين قالوا ما قالوا، ولو كُفِّروا لورد ذلك صراحة ومما يستفاد أيضاً

أنه إذا لم يكفر المسلم بذلك فإنه يغلظ له الكلام ويشدد عليه النكير، كما قال موسى (إنكم قوم تجهلون) وكما قال النبي ﷺ الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال أصحاب موسى لموسى..»[١] ومن شبهات المشركين أيضاً أنهم يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد قتله للرجل بعد أن قال لا إله إلا الله»[٢]. وكذلك قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[٣] ومرادهم بذلك أن من أقربها لا يكفر ولا يقتل وإن فعل ما فعل[٤]، لكن يرد عليهم بأن النبي ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقرون بها، وإن كانوا لم يقروا بالرسالة، وكذلك الصحابة قاتلوا بني حنيفة واستحلوهم وهم يشهدون بها ويصلون ويدعون الإسلام.

(١) سبق تخريجه

(٢) البخاري (٤٢٦٩) ومسلم (٩٦).

(٣) البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠:٢١).

(٤) أقول: هذه من أعظم شبهة القبورية لتبرير شركهم بحجة أنهم يقولون كلمة التوحيد. انظر التوسل بالنبي ﷺ لابن مرزوق ٣٦-٣٧ وبراءة الأشعريين له ١٠٥-١٠٦ وكتاب البراهين للقضاعي.

وكذلك الذين حرّقهم علي بن أبي طالب.

... وهؤلاء الجهلة مقرون: أن من أنكر البعث كفر وقُتل، ولو قال: (لا إله إلا الله).

وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقُتل، ولو قال: (لا إله إلا الله).

وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقُتل ولو قالها.

فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الإسلام ورأسه؟!.

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلاً ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعاه إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله - تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٤] أي: فتثبتوا.

فالآية تدل على أنه يجب الكفُّ عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله - تعالى -: ﴿فتبينوا﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

اللغة: (مقرون) معترفون (يتبين) يظهر (تبينوا) تثبتوا وتأكدوا.

الشرح: وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن قالوا بتأليهه، رغم نطقهم بالشهادتين، وهؤلاء الجهال معترفون بأن من أنكر البعث كفر وقتل حتى ولو كان يقول لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من الفروع أو الأحكام مع نطقه بالشهادتين ولا يحكمون عليه بالمثل إذا جحد التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه. غير أن هؤلاء المشركين لم يفهموا معنى الأحاديث التي استدلوا بها.

أما حديث أسامة، فإنه قتل الرجل بعد نطقه بالشهادتين ظناً منه أنه قالها تعوذاً من القتل فقط، بينما كان الواجب عليه أن يتريث حتى يتثبت من الأمر وحقيقته، وحتى يظهر منه ما يوافق ذلك أو يخالفه، ولهذا أنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾[1] أي تثبتوا وتأكدوا، فأوجبت الآية الكف عمن قالها والتثبت من أمره فإن بدا منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام، وينقض هذه الشهادة قتل ولو كان المقصود أنه لا يقتل ما دام قد نطق بالشهادة مهما فعل، لم يكن هناك معنى مقصود من قوله تعالى: «فتبينوا».

(١) سورة النساء الآية (٩٤).

. . . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكفُّ عنه، إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ الذي قال: «اقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟»، قال: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، مع كونهم من أكثر الناس عبادة، وتهليلاً، حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم (لا إله إلا الله)، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام؛ لما ظهر منهم مخالفة للشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة.

وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق، لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله - تعالى -: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ **[سورة الحجرات، الآية: ٦].**

وكان الرجل كاذباً عليهم.

فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

اللغة: (يناقض) ينافي ويخالف (يحقرون) يستصغرون.

الشرح: ومما يوضح ذلك أيضاً الحديث الآخر الذي احتجوا به، وهو حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[1] فإنهم إن قالوا وجب الكف عنهم حتى يتبين أمرهم ويظهر منهم ما يخالف هذه الشهادة، كما قاتل الصحابة المرتدين وما نعي الزكاة والنبي ﷺ الذي قال هذا الكلام، هو نفسه ﷺ الذي أمر بقتل الخوارج فقال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم

(١) البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

لأقتلنهم قتل عادٍ»[١] هذا مع العلم أن الخوارج كانوا من أكثر الناس عبادة وصلاة وذكراً وتهليلاً، لدرجة أن الصحابة كانوا يحقرون صلاتهم إلى جانب صلاة الخوارج، وعبادتهم مقارنة بعبادتهم وهؤلاء الخوارج تعلموا العلم من الصحابة، لكن رغم ذلك لم ينفعهم هذا، ولم تفهم العبادة العظيمة، ولا النطق بالشهادة، ولا ادعاء الإسلام حين ظهر منهم مخالفته بل إن النبي ﷺ هم أن يغزو بني المصطلق ويقاتلهم لما بلغه عن رجل أنهم منعوا الزكاة، وكان الرجل كاذباً عليهم، فنزل قول الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[٢] والمقصود من الاستدلال أن النبي ﷺ كاد يقاتلهم حين بلغت عنهم ما بلغه، ولم يبال بكونهم يدعون الإسلام، أو يصلون، أو يؤذنون، أو يصومون، أو غير ذلك وكل هذا يدل على أن المقصود من هذه الأحاديث التي احتجوا بها ليس ما فهموه بل ما ذكره الشيخ المصنف رحمه الله تعالى.

الخلاصة:

١ - إذا أظهر المرء الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين حاله.

٢ - من قال كلمة كفر جاهلاً بها عُرِّفَ وعُلِّم فإن أصر كفر.

٣ - الحق قد يخفى على أفاضل الناس أحياناً.

٤ - يجب التثبيت من الأخبار التي يسمعها الإنسان.

٥ - كل شبهات المشركين يوجد الرد عليها فيها نفسها.

المناقشة:

س١: ما الواجب علينا تجاه من أظهر الإسلام؟

س٢: ما حكم من أتى بكلمة كفر جاهلاً؟

س٣: هل يجوز تصديق الأخبار ونقلها دون تثبت؟

---

(١) البخاري (٦٩٣٠) ومسلم (١٠٦٤، ١٠٦٦).

(٢) سورة الحجرات الآية (٦).

المبحث الثاني عشر
(حول معنى الاستغاثة)

ولهم شبهة أخرى، وهي: ما ذكر النبي ﷺ: «أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى»، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً[1].

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه؛ فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال - تعالى - في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥].

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق.

ونحن أنكرنا استغاثة العبادة، التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

اللغة: (يستغيثون) الاستغاثة هي طلب الغوث والنجدة (شيعته) طائفته وقومه.

الشرح: ومن شبهات أهل الشرك القبورية والتي يحاولون الاستدلال

---

(١) قلت: لقد تشبثت القبورية بتلك النصوص الشرعية التي تدل على جواز استغاثة الإنسان بغير الله من حي حاضر فيما يقدر عليه. فذكروا تلك النصوص الشرعية ليجوزوا بها على الإستغاثة بالأموات عند الكربات فحرفوا مضمون هذه النصوص ووضعوها في غير موضعها.
انظر: صلح الأخوان لابن جرجيس (٤٤، ٥١). وشواهد الحق للنبهاني (١٢٧ - ١٢٨ - ١٦٨ - ١٦٩) والبراهين للقضاعي (٤١٧) ومقالات الكوثري (٣٩٥) والمفاهيم للمالكي (٨٦).

بها على باطلهم، ما ورد عن النبي ﷺ من استغاثة الناس يوم القيامة بآدم ثم نوح ثم موسى ثم عيسى وكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسوال الله ﷺ فيشفع لهم فاستدلوا بذلك - من جهلهم - على جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وأنها ليست شركا بالله.

وجوابهم أن يقال: سبحان الذي ختم على قلوب أعدائه فهم لا يعلمون، فإن الاستغاثة بالمخلوق في شيء يقدر عليه، لا ينكرها أحد، كما قال تعالى عن موسى: ﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[١]،فإن الإنسان يستغيث بغيره لينقذه من الغرق أو يساعده في إطفاء حريق، أو يعينه في الحرب، أو غير ذلك، وهذا لا ينكر، وإنما الذي ننكره على هؤلاء ما يفعلونه عند القبور، واستغاثتهم بالموتى والغائبة. واستغاثتهم بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، فإن ذلك شرك لا شك فيه كالذي يستغيث بغير الله لأجل أن تحمل امرأته، أو ليشفى من مرضه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ولهذا فإن الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة حتى يشفعوا عند الله تعالى لكي يحاسب الناس، إنما هي استغاثة بمخلوق في شيء يقدر عليه، وهذا جائز أن يأتي الإنسان لرجل صالح حي وحاضر فتقول له: ادع الله لي رجاء أن يستجيب الله تعالى له، فهذا جائز، وقد فعله أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه أن يدعوا لله لهم، لكنهم لم يفعلوا ذلك بعد موته، ولا جاءوا عند قبره فسألوه بل ثبت عنهم إنكارهم على من فعل ذلك، أو أتى قبره ﷺ للدعاء عنده فكيف بمن أتاه لطلب الغوث منه نفسه ﷺ، وليس لمجرد الدعاء عنده لا شك.

---

(١) سورة القصص: الآية (١٥).

. . . ولهم شبهة أخرى، وهي: قصة إبراهيم - عليه السلام - لما ألقي في النار - اعترض له جبريل في الهواء، فقال: ألك حاجة؟. فقال إبراهيم - عليه السلام -: أما إليك فلا.

فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله - تعالى - فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية: ٥].

فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض، والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل.

ولو أمره أن يضع إبراهيم - عليه السلام - في مكان بعيد عنهم لفعل. ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني، له مال كثير، يرى رجلاً محتاجاً، فيعيض عليه أن يقرضه، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته؛ فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، ويصبر، إلى أن يأتيه الله برزق لا مِنّة فيه لأحد.

فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

اللغة: (منة) نعمة ومعروف وفضل.

الشرح: ومن شُبَه المشركين هؤلاء ما يروى من قصة إبراهيم عليه السلام مع جبريل لما ألقي في النار، فظهر له جبريل عليه السلام، وسأله: هل لك من حاجة فقال له إبراهيم أما إليك فلا»[١] ووجه استدلالهم هو أن الاستغاثة بغير الله لو كانت محرمة ما عرضها جبريل عليه السلام على النبي إبراهيم ﷺ، وهذا استدلال باطل لسببين:

(١) هذه القصة لا تثبت، انظر السلسلة الضعيفة برقم (٢١) وقال الألباني (لا أصل له).

الأول: أن القصة لم تصح أصلًا فلا مجال للاستدلال بها، إذ إن الاستنباط فرع التصحيح.

الثاني: أنه مع فرض صحتها فإن جبريل عرض على إبراهيم عليه السلام أن ينفعه بشيء في طاقته، بل هو قادر بإذن الله بما أعطاه الله من قوة كما قال تعالى في حقه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[1]، قادر بإذن الله على أن يطفيء هذه النار، أو يخرج إبراهيم عليه السلام منها، والأمر تماما كرجل غني يرى رجلًا فقيراً محتاجاً فيعرض عليه شيئاً في استطاعته كأن يقرضه أو نحو ذلك، أو يهب له، فيرفض الفقير ويصبر حتى يرزق الله من غير منةٍ عليه لأحد، فلا تشابه بين ذلك وبين استغاثة العبادة والشرك لمن كان يفقه حقائق الأمور.

الخلاصة:

١ - احتجاج المشركين بقصة إبراهيم عليه السلام لا يصح لأنها لا تثبت وليس فيها دليل على ما ذهبوا إليه.

٢ - يجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

المناقشة:

س١: ما رأيك في احتجاج المشركين بقصة إبراهيم وجبريل عليهما السلام؟

س٢: ما حكم الاستغاثة بغير الله؟

---

(١) سورة النجم (٥).

الخاتمة

ولنختم الكلام - إن شاء الله تعالى - بمسألة عظيمة، مهمة جداً، تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً.

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون، وإبليس وأمثالهما.

وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم. وغير ذلك من الأعذار.

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى -: ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٩].

وغير ذلك من الآيات، كقوله ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٦].

فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهراً، وهو لا يفهمه، ولا يعتقده بقلبه؛ فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٥]. . .

اللغة: (غالب) أكثر.

الشرح: وفي آخر الكلام حول هذا الموضوع أراد الشيخ أن يختم بمسألة مهمة يكثر الغلط حولها، فيبين أنه ليس هناك خلاف في أن التوحيد يلزم أن يكون بالقلب، واللسان، والعمل، فإذا أشرك بقلبه، أو

بلسانه، أو بعمله ارتفع عنه صفة الإسلام، فمن عرف التوحيد بقلبه ولم يعمل به كَفَرَ كُفْرَ العناد كإبليس وفرعون وغيرهما، وهذا يخطىء فيه الكثيرون، فيقرون بحقيقته، لكن يعتذرون عن العمل به، موافقة لأهل بلدهم، أو غير ذلك من الأعذار، وغاب عنهم أن أئمة الكفر يعرفون ذلك غالباً، لكنهم اعتذروا عن التوحيد لأعذار، كرغبتهم في حيازة المال وغيره، ومما يدل على معرفتهم قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1].

وكذلك من عمل بالتوحيد فيما يظهر من غير أن يعتقده بقلبه فهو منافق نفاقاً اعتقادياً وهو شر من الكافر ظاهراً وباطنا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٦).
(٢) سورة النساء، الآية: (١٤٥).

. . . وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس؛ ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولهما: ما تقدم من قوله: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٦].

فإذا تحققت أن بعض الصحابة، الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراةٍ لأحدٍ؛ أعظم ممن يتكلم بكلمةٍ يمزح بها.

اللغة: (مداراة) أصلها اتقاء شر من تداريه.

الشرح: وهذه مسألة كبيرة طويلة، تتبين وتتضح لمن تأملها في ألسنة الناس، فإن كثيراً منهم يعرف الحق ولا يعمل به، بسبب الخوف على دنياه أن ينقص منها شيء، أو الرغبة في تحصيل جاه، أو مداراة من يخاف شره وهناك من يعمل بالحق ظاهرا لا باطنا، وإذا سئل عما يعتقده بقلبه إذا هو لا يعرفه، ولا يفهمه.

والذي يعين على ذلك فهم آيتين من القرآن، الأولى، ما تقدم من ذكر قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ .

فإذا وضح أن بعض المسلمين الذين غزوا مع رسول الله ﷺ كفروا، وخرجوا من الإسلام بسبب كلمة قالوها مزاحا لا أكثر، تبين جلياً أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به، خوفاً على دنياه أن تنقص، أو رغبة في الجاه والمنزلة ونحو ذلك، كل هؤلاء أعظم كفراً ممن تكلم بالكفر بمجرد كلمة لا يقصد بها إلا المزح، وهذا واضح جلي.

. . . والآية الثانية: قوله - تعالى -: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [سورة النحل، الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧].

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أُكره مع كون قلبه مطمئن بالإيمان.

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً، أو مداراةً، أو مشحةً بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعل على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المُكره.

والآية تدل على هذا من جهتين:

الأول: قوله: ﴿إلا من أُكره﴾ فلم يستثن الله - تعالى - إلا المُكره. ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يُكره أحد عليها.

والثاني: قوله - تعالى -: ﴿ذلك بلنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين.

والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللغة: (أكره) أجبر وأرغم (مشحة) بخلا (آثره) فضله وقدمه.

الشرح: والآية الثانية التي توضح هذه المسألة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فإن الله تعالى لم يستثن أحداً من حكم

التكفير إذا أظهر الكفر إلا المكره، الذي يجبر على إظهار القول بالكفر، أو العمل مع بقاء إيمانه في القلب، إذ إن الاعتقاد لا يمكن أن يدخل عليه الإكراه وإنما يكون الإكراه في القول والعمل، وأما المازح، والحريص على دنياه، وغيرها فهؤلاء يكفرون بفعلهم وقولهم.

ودلالة الآية على ذلك من وجهين: **الأول**: أن الله لم يستثن إلا المكره، فقال من أكره، وكما سبق فالإكراه في القول والعمل لا في الاعتقاد.

الثاني: أن الله قال في حق الذين حكم بكفرهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ﴾[1] فدل على أن من أظهر القول أو العمل بالكفر لأجل تحصيل غرض دنيوي أنه يكفر بذلك.

فالآية واضحة الدلالة لما ذكر، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) سورة النحل الآية (١٠٧).

فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

طبع في مطابع مؤسسة الرسالة

تلفاكس: ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣

بيروت - لبنان